الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الآداب و اللّغات

قسم اللّغة و الأدب العربي

فرع دراسات لغوية تخصص: لسانيات الخطاب

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــــ

الحجاج ومرتكزاته في الخطاب الإعجازي لدى الباقلاني في كتاب "إعجاز القرآن"

إعداد الطالب:

– قاسم العربي

إشراف الدكتور:

– عزوز ميلود

أعضاء لجنة المناقشة:

– د. بن جلول مختار	رئيسا
– د. عزوز ميلود	مشرفا
– أ.د عوني أحمد	مناقشا

السنة الجامعية:

1439 – 1440 هـ

2018 – 2019 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

سورة هود الآية ﴿88﴾.

الحمد لله، والشكر لله الذي أنزل علينا الكتاب، وأنار به دربنا، وعلّمنا ما لم نعلم، وسدد خطانا في طلبنا العلم.ومنحنا الإرادة والعزيمة والصبر أما بعد:

نتقدم بالشكر الخالص إلى الأستاذ الفاضل " عزوز ميلود" الذي قبل الإشراف على مذكرتي بصدر رحب، وكان نعم العون والسند في هذا العمل المتواضع، أدام الله عليه الستر والعافية وحفظه ذخرا لطلّاب العلم.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة

الذين تكرموا بقراءة هذه المذكّرة.

وإلى كلّ يد ساعدت وكلّ كلمة طيبة قيلت في سبيل إنجاز هذا العمل.

فجزى الله الجميع كلّ خير.

إهـــــــداء

إلى روح والدي الطاهرة

إلى والدتي الغالية

إلى زوجتي وابنتي الحبيبة حليمة

إلى إخوتي وزوجاتهم.... أخواتي وأزواجهم

إلى جميع الأقارب والأصدقاء

إلى كلّ أساتذتي الذين أشرفوا على تكويني

مهاد نظري:

الدرس الإعجازي حتّى زمن

أبي بكر الباقلاني

الإعجاز القرآني:

تعتبر قضية إعجاز القرآن من أبرز القضايا التي تناولها المفسرون واللّغويون وعلماء البيان والبلاغة على اختلاف أزمانهم في تحليلها وتفصيلها، ولا ريب أننا نجد مصنفات كثيرة، ودراسات لا تحصى قد تطرقت إلى الإعجاز بالبحث والدرس والتأسيس.

ولمّا كان بحثنا هذا مرتبطا بكتاب "إعجاز القرآن" للإمام أبي بكر الباقلاني وجدنا من المناسب أن نقدم إشارات عن قضية إعجاز القرآن الضاربة بجذورها في تراث الأقدمين خلال دراساتهم، على أن نتوقف في هذا عند أبي بكر الباقلاني مع مصنفه إعجاز القرآن.

إشارات عن إعجاز القرآن في التراث العربي:

يرى الباحثون أنّ مصطلح الإعجاز بهذه الصيغة، لم يظهر بالمدلول الذي هو عليه اليوم (إعجاز القرآن) في عهد النبوة غير أنّ "مضمون المصطلح كان متعارفا ومتداولا، وموظفا منذ اللّحظة الأولى"[1] فقد حصلت الدلالة على معنى هذا المصطلح ضمنيا في العديد من الآيات القرآنية.

و المُلاحَظ أنّ القرآن الكريم لم يستخدم لفظ "إعجاز"، وإنّما وظف صيغا مركبة كما هو في السور التي تضمنت معنى الإعجاز، ومن ذلك قوله تعالى:" **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقو النار التي وقودها الناس**

1 عمار ساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، إربد، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2007، ص17.

والحجارة أعدت للكافرين "[1] ووردت في قوله تعالى:" **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون**"[2] وقوله عزّ وجلّ في موضع آخر" **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**"[3] وقوله تعالى: " **أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**"[4]

فالإعجاز من هذه الآيات يعني التحدي مقترنا بالعجز، وهذا ما يؤكده الدارسون بل ويستدلون على كون القرآن معجزا هو" أنّ العرب تُحدوا إلى معارضته، و لم يأتوا بها، ولولا عجزهم عنها لكان محالا أن يتركوها، ويتعرضوا لشبا الأسنّة ويقتحموا موارد الموت"[5] فالمقصود أنّ العرب لما تحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن عجزوا عن المعارضة، ولجأوا إلى حربه .

وغاب استخدام مصطلح الإعجاز عند العلماء إلى غاية أواخر القرن الثالث هجري، فالإمام الباقلاني يذكر لنا أنّ أوّل من تناول الإعجاز هو الجاحظ (255هـ) في القرن الثالث هجري، وأنّه صنّف كتابا سماه (نظم القرآن)، والكتاب غير موجود. ونشير إلى أنّ الباقلاني انتقده بقوله: "و قد صنّف الجاحظ في نظم

1 آية (23،24) سورة البقرة.

2 آية (13،14) سورة هود.

3 آية (88) الإسراء.

4 آية (33،34) سورة الطور.

5 فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د.أحمد حجازي سقا، دار الجيل، بيروت،ط1، 1992،ص54.

القرآن كتابا، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، و لم يكشف عمّا يلتبس في أكثر هذا المعنى"[1]

وذكر البعض أنّ أوّل من صنّف في الإعجاز اللغوي أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي(306هـ) ،و وضع كتابا سماه " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه" وهو من الكتب التي لم يعرف منها غير اسمها.

وفي القرن الرابع هجري، ألّف الإمام الرماني(386هـ) " النكت في إعجاز القرآن" إذ حصر الإعجاز في سبعة وجوه وأعطى أهمية كبيرة للوجه الرابع الذي سماه البلاغة، ثمّ ميّز بين بلاغة القرآن وبلاغة البلغاء ببيان طبقاتها ، وعبّر عن أعلى طبقات البلاغة بالمعجز، وهو بلاغة القرآن.

وتحدث الإمام الخطابي (388هـ) عن الإعجاز في كتابه" بيان إعجاز القرآن" إذ يقول:" واعلم إنّما صار معجزا، لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني"[2]

ويتفق الخطابي مع الرماني في إعجاز البلاغة القرآنية، إذ يمكن اعتبار أهم منطلقات الإعجاز الفني في رسالة الخطابي " بيان إعجاز القرآن" هو قصور كلّ البلاغات البشرية أمام النظم المعجز الثابت، وهذا عين الإعجاز الفني، لأنه لا لغة ولا تركيب ولا نظوم حديث تحلّ محل النظم القرآني أبدا.[3]

1 أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق:صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2016، ص6،7.

2 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني- في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3،1976، ص27.

3 بغدادي بلقاسم: المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص228.(بتصرف).

و بعد هذه الإشارات الموجزة نقف عند الإمام أبي بكر الباقلاني(403هـ) في كتابه " إعجاز القرآن" والذي يعتبر أبرز مرجع تناول الإعجاز في تلك المرحلة التاريخية. بل ولا يزال يحتفظ بتلك القيمة إلى يومنا هذا.

فالإمام الباقلاني يرى أنّ نظم القرآن هو الصفة المميزة له عن سائر كلام البشر، وهو في حديثه عن أوجه الإعجاز كان أهمّ جانب وضع عليه يده هو ما تعلق بنظم القرآن المحكم البديع، وقد اجتهد فيه بالدرس، فنجده في فصل "جملة وجوه إعجاز القرآن" في الوجه الثالث يقول:" أنّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه البلاغة، إلى الحدّ الذي يُعلمُ عجز الخلق عنه."[1]

الإعجاز عند الباقلاني

كرس الباقلاني جهده في كتابه" إعجاز القرآن" لكشف الغطاء عن أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، ورأى أنّ الإبانة عن معجزة القرآن أحق بكثير من البحث في العلوم اللغوية أو النحوية أو الاشتغال بعلم الكلام، نظرا للحاجة الماسّة إلى ذلك يقول الباقلاني:" أهمّ ما يجب على أهل الدين كشفه، وأولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواما، ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا، ولمعجزته ثبتا وحجة"[2]

فالبحث في الإعجاز عنده من الضروريات لأنّه دليل على وحدانية الله. والباقلاني في إثبات معجزة القرآن يذكر بأنّ الله تعالى تحدى العرب أن يأتوا بمثله،

1 أبي بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، ص30.

2 نفسه، ص5.

ومن ثم "جعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلا على أنه منه، ودليلا على وحدانيته"[1] وكثير من السور مبني على لزوم القرآن حجة وعلى التنبيه على وجه معجزته.

وفي معجزة القرآن تعتبر قضية التحدي مثار اهتمام عند الباقلاني إذ يقول :"إنما احتيج إلى التحدي لإقامة الحجة وإظهار وجه البرهان."[2] هكذا يظهر وجه الإعجاز.

وقد سجلت دراسة الباقلاني البيانية لإعجاز القرآن ثلاثة أوجه أخذا عن زملائه الأشاعرة ، وقد صرح بذلك في قوله: " ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز:

الوجه الأوّل: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لايقدر عليه البشر.[3]

والوجه الثاني: أنّه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم، أنّه كان أميّا، ثمّ أتى بجملة من أخبار وقصص الماضين مما لا سبيل إليه إلاّ عن التعلم.[4]

أمّا الوجه الثالث: نظمه البديع، وتأليفه العجيب، وبلاغته المتناهية التي يعجز البشر عن محاكاتها.[5]

غير أنّ الباقلاني لا يقف كثيرا عند الوجهين الأولين، بل يصب اهتمامه في الوجه الثالث والذي له علاقة بالبلاغة إذ أنّ نظم القرآن هو الصفة المميزة له عن سائر

1 نفسه، ص16.
2 نفسه، ص21.
3 نفسه، ص28.
4 نفسه، ص29.
5 نفسه، ص30.

الكلام الآدمي، "فنظم القرآن جنس متميز وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص"[1]

ويفصل الباقلاني في الإعجاز بالنظم القرآني فيقول:" ثمّ انظر في آية آية، وكلمة كلمة ، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف؟"

وهذا النظم عنده لا يتفاوت بل هو وحدة متكاملة في كلّ القرآن فهو" في مؤتلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل نهج يسلكه وطريق يأخذ فيه، وباب يتهجم عليه، ووجه يؤمّه على ما وصفه تعالى به، لا يتفاوت"[2]

أمّا سائر كلام البشر بالنسبة له فهو مشوش النظم، مضطرب في مجاريه، يتفاوت التفاوت الكثير. يقول" ألا ترى أن الشاعر المفلق إذا جاء إلى الزهد قصّر، والأديب إذا تكلّم في بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره..؟ ونظم القرآن لا يتفاوت في شيء.[3]

إذا فلم يكن أمام الباقلاني إلاّ الموازنة بين القرآن وألوان التعبير عند العرب من شعر ونثر، لتكون فكرة التفاوت عند الباقلاني " فكرة وليدة حقل الموازنات والمفارقات التي أجراها ليثبت علو شأن القرآن استجابة لما يؤمن به من المفارقة التي جعلته يطمئن إلى أنّ نظم القرآن، عال عن أن يعلق به الوهم، أو يسمو إليه الفكر أو

1 نفسه، ص106.

2 نفسه، ص135.

3 نفسه، ص131.

يطمع فيه الطامع، أو يطلبه طالب"[1] فالتفاوت في النظم من الأمور التي تسيء إليه وتضعفه، ومن هنا ينفى الباقلاني التفاوت في القرآن، ويثبته في أشكال التعبير الأدبي.

فقد وظف فكرة التفاوت ليبيّن خاصية في الأسلوب القرآني تفسر إعجازه وهي تعادل النظم في جميع آيات القرآن.

ونحن نجد الباقلاني في معالجته لإثبات الإعجاز البلاغي للقرآن اتخذ منهجا مميزا برفض الإعجاز في البديع الموجود في القرآن.فهو يرى" أنّه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر، ووصفوه فيه، وذلك أنّ هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له، كقول الشعر، ووصف الخطب، وصناعة الرسالة، والحذق في البلاغة، وله طريق يسلك، ووجه يقصد.."[2] أي أنّ البديع لا يخرج عن قدرة البشر، ويقصد بمصطلح البديع هنا مفهومه الشامل المتعارف عليه في عصره بما يضمّه من مباحث البلاغة (البيان، والمعاني، والبديع). فالبديع في حدّ ذاته غير معجز، إنما المعجز الصورة الباهرة التي وجد عليها في القرآن واتساقه مع سائر النظم القرآني اتساقا عجيبا. بينما نجد أنّ الشعر والنثر البشري يحتوي على التشبيه البليغ أو الاستعارة الجيدة ولكن يوجد إلى جوارها التعبير الساقط، واللّفظ المبتذل.

كما يرفض الباقلاني فكرة التوصل إلى إثبات إعجاز القرآن عن طريق أقسام البلاغة العشرة التي حددها "الرماني" دون أن يشير إلى اسمه في فصل "وصف وجوه البلاغة" في كتاب إعجاز القرآن.

---

1 أحمد يوسف علي: قراءة النّص- دراسة في الموروث النقدي، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، ط2، 2008، ص63.

2 أبي بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، ص80.

وفي كلامه عن تميّز الأسلوب القرآني راح يرصد الفروق بينه وبين أساليب الكلام البشري فخصص حديثا في نفي الشعر من القرآن وحديثا آخر في نفي السجع من القرآن يقول " ليس من باب السجع، ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس من قبيل الشعر"[1]

وللإشارة فإنّ الباقلاني تفرد أيضا في إثبات إعجاز القرآن من خلال الموازنة بين القرآن وبين أنواع الخطاب البليغ الذي عرفته العرب بما فيه الشعر.

ومن هذا المحور اهتم الباقلاني في موضوع إعجاز القرآن بتحديد الخصائص الفارقة بين الكلام الإلهي والكلام الآدمي. فالقرآن على كثرته وطوله متناسب في الفصاحة. أمّا كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال.

وهذا يعني أنّ القرآن عجيب نظمه، بديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين، وذلك وجه الإعجاز.

ولا يفوتنا أن نذكر بأنّ الباقلاني أشار في كتابه إلى أنّ الدارسين الذين سبقوه في البيان عن إعجاز القرآن لم يكشفوا كثيرا عمّا يلتبس في هذا المعنى وسمّى منهم "الجاحظ" [2] ولذلك رأى أنّ مهمته بسط القول أكثر وإحكامه في هذا الشأن.

وخلاصة القول عن الإمام الباقلاني أنّه يعدّ بالنسبة للسابقين" أوسع إدراكا لنظم القرآن وأشمل إحاطة لبلاغته وإعجازه، ولاغرو فقد نشأ في عصر ترعرعت فيه العلوم البلاغية، واتخذت الدراسات الإعجازية صفة العلم القائم بذاته وانفصلت عن التفسير، وقامت دراسات خاصة مستقلة تبحث عن إعجاز القرآن."[3]

---

1 نفسه، ص30.

2 نفسه، ص6،7.

3 عمار ساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، إربد، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2007، ص31.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام علـى نبيّنـا محمـد -صـلى الله عليـه وسلم- خير الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعـين، ومـن تـبعهم بإحسـان إلى يوم الدين- رضوان الله عليهم أجمعين- وبعد:

لقد أصبح الحجاج، محطّ أنظار الدارسين والبـاحثين في البلاغـة الجديـدة، وكـان حظّ الحجاج من التنظير كبيرا، ولا ريـب أن انطلقـت الجهـود تتنـاول هـذا الـدرس البلاغي الذي غدا مطلبـا جوهريـا في مجـالات الفكـر، والأدب، والـدين، والسياسـة، والقانون، والقضاء والمنطق، وغيرها من الحقول المعرفية.

فالحجاج في الدراسات الحديثـة، بمفهومـه الواسـع، متصـل بتقنيـات الخطـاب المُؤدية بالأذهان إلى الإذعان، لما يُعرض عليها، أو تقوية درجة ذلـك الإذعـان والتسـليم. وفي هذا الشأن نذكر ما كان لجهود الدارسـين الغـربيين مـن دور فعّـال في الحجـاج لاسيما "شاييم بيرلمان" الذي سـعى مـع زميلتـه "تيتيكـا" أن يـردّ للبلاغـة اعتبارهـا ومكانتها اللائقة بها فاستحضر التراث البلاغي الأرسطي عـبر قـراءة مستفيضـة، ليصـل إلى تصور متكامل وناضج عمّا يسمى بالبلاغة الجديـدة مركـزا علـى الإقنـاع والتـأثير والاحتمال في مجال الحجاج.

وفي التراث العربي القديم، جاء الحجاج مبثوثا في كـل علـم مـن علـومهم، الـتي تستدعي الإفهام والإقناع. بل واشتهر العـرب المسـلمون منـذ بدايـة أمـرهم بممارسـة الحجاج والجدل حتّ إن الجدل مـرّ عنـدهم بمراحـل فقـد تحـوّل في القـرن الرابـع والخامس هجري إلى جدل فلسـفي وفكـري وكـان الحجـاج ذلـك الوقـت مطلبـا ضروريا للدفاع عن عقيدة، أو الانتصار لمذهب أو لإثبات فكرة أو دحضها.

وتعدّ "مسألة إعجاز القرآن" في الفكـر العـربي الإسـلامي مـن أبـرز مسـائل الخلاف، التي ساهمت في تطوّر فن الجـدل، خاصـة عنـد المـتكلمين، كفـرقتي المعتزلـة والأشاعرة في تلك الفترة.

ففي هذا المجال وضع الإمام الأشـــعري " أبـــو بكـــر البـــاقلاني" جهـــدا جبـــارا، انتصارا للقرآن الكريم، فيما يتعلق بقضية إعجاز القرآن مـــن بـــاب الـــدفاع عـــن العقيـــدة الإسلامية. وهنا لم يكن إلاّ أن نأتي إلى أحـــد كتـــب البـــاقلاني(ت403هـــ) الـــذي لم يكن معروفا له عند أغلب الباحثين إلاّ كتابه" إعجاز القرآن".

و قد بسط الباقلاني القول في هذا الكتاب للإبانة عـــن معجـــزة القـــرآن الكـــريم، ووقف مدافعا ومنافحا، ليسقط جملة من طعـــون الملحـــدة ويـــدحض شـــبهاتهم وليزيـــل الشكوك التي كانت تعرض للجهّال في وجه معجـــزة القـــرآن الخالـــدة. واعتمـــد في هـــذا أداة ذلك الوقت ممثّلة في علم الكلام الذي يتضمن الحجاج عـــن العقائـــد الإيمانيـــة بـــإيراد الأدلّة والحجج.

و من هنا كان كتاب" إعجاز القرآن" على قدر هائـــل مـــن الحجـــاج، وهـــو مـــا فتح شهيتنا ،في تناوله كموضوع بحث في الدراســـات الحجاجيـــة. فاتخـــذنا مـــن مدونـــة "إعجاز القرآن" بما جاء فيها من خطاب حجاجي عن الإعجاز موضوعا للدراسة .

إذا نشأ اختيار الموضوع لجملة من الأســـباب الذاتيـــة والموضـــوعية، فأمّـــا الذاتيـــة فهي فضولي الكبير لأخذ فكرة عن سبب تفرّد الباقلاني فيمـــا أورده مـــن حجـــج لإثبـــات إعجاز القرآن خاصة فيما يتعلق بتلك المقارنة التي أقامها بين الشعر والقرآن.

وأمّا الموضوعية فأهمّها:

*محاولة قراءة هذا الموروث قراءة جديدة في ضـــوء النظريـــات اللّســـانية الحديثـــة، وبالضبط من زاوية نظرية الحجاج.

*محاولة معرفة الحجج التي اعتمدها الباقلاني في إعجاز القرآن.

و من الدراسات السابقة التي اطلعت عليها في مثل هـــذا الموضـــوع المـــرتبط بـــأبي بكر الباقلاني أحد أكبر علماء تفسير الإعجاز القرآني:دراســـة الأســـتاذ الـــدكتور" أحمـــد يوسف علي" الموسومة بعنوان" قراءة الـــنّص-دراســـة في المـــوروث النقـــدي-". وتلـــك

دراسة من جانب نقدي فقط، وهو ما دفع بنا إلى محاولـــة إخضـــاع خطـــاب البـــاقلاني في إعجاز القرآن إلى الدرس الحجاجي.

وعليه جاءت دراستنا المتواضـــعة في مـــذكرتنا هـــذه، موســـومة بـــــ:" **الحجـــاج ومرتكزاته في الخطاب الإعجازي لدى الباقلاني في كتاب "إعجاز القرآن".**

و في هذه الدراسة كان منطلقنا هو تقديم إجابـــة عـــن الإشـــكالية المتجســـد مـــن خلال التساؤلات الآتية:

- **ما هي أهمية الكتاب من الوجهة الحجاجية ؟**
- **هل مرتكزات الحجاج عند الباقلاني عقلية أم عاطفية ؟**
- **ما هي آليات الحجاج المستعملة في كتابه، ووفق أيّ فكرة بنى حجاجه ؟**

و هكذا قسمنا بحثنا وفق الخطة الـــتي اعتمـــدناها إلى: مقدمـــة، ومهـــاد نظـــري، وفصلين وخاتمة.

***المهاد النظري:** فيه تناولنا الدرس الإعجـــازي حتّـــى زمـــن أبي بكـــر البـــاقلاني، فأشرنا إلى قضية الإعجاز القرآني عند الأقـــدمين وتوقفنـــا عنـــد أبي بكـــر البـــاقلاني مـــن خلال كتابه إعجاز القرآن.

***الفصل الأول:** جاء نظريا تحت عنوان"**مفهـــوم الحجـــاج وماهيتـــه**"عرّفنـــا فيـــه مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا، ثمّ تتبعنا ماهيـــة الحجـــاج في الفكـــرين الغـــربي والعـــربي قديما وحديثا، فوقفنا على أبرز المحطات التي عرفها الحجـــاج بـــدءا مـــن النشـــأة اليونانيـــة وخصوصا مع السفسطائيين وأفلاطـــون وأرســـطو، ومـــرورا بتلـــك الإســـهامات مـــن التراث العربي لبعض العلماء البارزين أمثال الجاحظ، وابـــن وهـــب، والســـكاكي. وفيمـــا يتعلق بالحجاج حديثا أشرنا إلى أقطاب نظرية الحجاج عنـــد الغـــرب في العصـــر الحـــديث فذكرنا الحجاج في إطاره البلاغي مع برلمان وتيتكا، والحجـــاج في اللّغـــة عنـــد انســـكومبر

وديكرو، أمّا عند العرب حديثا فاكتفينا بالحجـــاج عنـــد طـــه عبـــد الرحمـــان، ومحمـــد العمري.

***الفصل الثاني:** وُسِم بعنوان "**مرتكـــزات الحجـــاج في كتـــاب إعجـــاز القـــرآن للباقلاني**" واعتمدنا فيه مقاربة حجاجية تطبيقية مـــن خـــلال البحـــث في أبـــرز الآليـــات الحجاجية المستعملة في كتاب "إعجاز القـــرآن"، فمَثّلنـــا لإحـــدى عشـــرة آليـــة منـــها: القياس، التجزئة، التعريف، المقارنة، التبادليـــة، التعديـــة، الشـــاهد، التكـــرار، الاســـتفهام، التشبيه، النفي.

***خاتمة:** كانت خلاصة لأهم النتائج التي أردنا من بحثنا الوصول إليها.

و فيما يخص منهج البحـــث المعتمـــد في مقاربـــة الموضـــوع، اســـتخدمنا منـــهجا تاريخيا وصفيا مثلما هو الحال في الفصل الأول، كما اســـتعنا بالمنـــهج التحليلـــي التـــداولي في الجانب التطبيقي المتعلق بالفصل الثاني من البحـــث، مـــن أجـــل كشـــف الحجـــاج في مدونة الباقلاني.

و هكذا تناولنا بالدراسة هذا الموضـــوع المتعلـــق بمـــوروث البـــاقلاني، إيمانـــا منّـــا بكونه يرتبط بجزء لا يتجزّأ من التراث العربي الإسلامي الذي يُعتبر بما يحويـــه كنـــزا ثمينـــا، لا سيما وإعجاز القرآن يكاد يكون محورا لكثير من الدراسات العربية.

ولإنجاز بحثنا هذا، اعتمدنا مجموعة مـــن الكتـــب في مقدمتـــها الكتـــاب المصـــدر المتمثّل في "**إعجاز القرآن**" للإمـــام البـــاقلاني، وكتبـــا أخـــرى أهمهـــا: **الحجـــاج أطـــره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج** لعبد الله صـــولة، وكتـــاب **نظريـــة الحجاج عند شاييم بيرلمان** للحسين بنو هاشم،و كتاب **بلاغـــة الإقنـــاع**، دراســـة نظريـــة وتطبيقية لعبد العالي قادة. وكذلك كتاب **في أصول الحوار وتجديـــد علـــم الكـــلام** لطـــه عبد الرحمان.

ولقد واجهتنا جملة من الصعوبات أثناء هذا العمل من أهمها:

قلة الدراسات الحجاجيـــة الإجرائيـــة في الخطـــاب الإعجـــازي لـــدى البـــاقلاني، والتي كنّا نأمل أن نستأنس بها في كشف الآليات الإقناعية في مدونتـــه" إعجـــاز القـــرآن"، ضف إلى هذا الحجم الهائل للحجاج المســـتعمل في المدونـــة، مـــا وضـــعنا أمـــام حجـــج كثيرة، الأصعب فيها تداخلها في صور متعددة وهو مـــا لمســـناه عنـــد التطبيـــق، فضـــبط الحجاج ووصف آلياته تظل مستعصية. ومن الصـــعوبات ظـــروف أخـــرى نتيجـــة عـــدم تيسر تخصيص الوقت الكافي لإنجاز هذا البحث، نظرا لعدّة ارتباطات مهنية خاصة.

وفي الأخير نرجو أن نكون موفقين-بإذن الله- فيما بذلنا من جهـــد لإنجـــاز بحثنـــا المتواضع هذا الذي لم يفتأ أستاذي الفاضل المشـــرف الـــدكتور" عـــزوز ميلـــود" يـــرافقني فيه خطوة خطوة، مرشدا وموجها ومحفزا، حـــتى يكـــون علـــى الوجـــه الـــذي يتماشـــى وقيمته العلمية، فلك مني أستاذي أزكـــى عبـــارات التقـــدير والاحتـــرام وأسمـــى معـــاني الشكر والامتنان. كما لا يفوت أن أتقـــدم بآيـــة الشـــكر إلى جميـــع أســـاتذتي الكـــرام، وأتقدم بكامل التقدير إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعـــة ابـــن خلـــدون-تيـــارت- بمـــا قدموه لنا كطلبة من تسهيلات لإنجاز بحوثنا.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه.

العربي قاسم.

تيارت في: 01 من ذي القعدة 1440هـــ.

الموافق لـــ:04 من جويلية 2019 م.

الفصل الأوّل:

- مفهوم الحجاج: لغة واصطلاحا
- ماهية الحجاج قديما وحديثا في الفكر الغربي والعربي

مفهوم الحجاج:

أ): الحجاج لغة:

تكاد تجمع المعاجم العربية في تعريف الحجاج على ما جاء في لسان العرب "لابن منظور" حجج: الحجُّ: القصد...و الحجّة: البرهان، وقيل الحجّة: ما دوفع به الخصم وقال الأزهري: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاجُّ: التخاصم، وجمع الحجّة: حجج وحجاج، وحاجّه مُحاجّة وحجاجا: نازعه الحُجّة وحجّه يحجّه حجّا: غلبه على حجته. وفي الحديث:" فحجّ آدم موسى" أي غلبه بالحجّة. واحتجّ بالشيء: اتخذه حجّة، قال الأزهري: إنّما سميت حجة لأنّها تحجُّ أي تقصد لأن القصد لها وإليها...و الحجّة: الدليل والبرهان، يقال حاججتُهُ فأنا مُحاَجٌّ وحجيجٌ، فعيل بمعنى فاعل.[1]

ونجد أنّ ابن منظور يقرن الحجّة بالبرهان والدليل حينا وبالخصومة حينا آخر كما قرنها أيضا بالجدل.

وجاء في تاج العروس "للزبيدي": حجج: الحجّ: القصد مطلقا حجّه يحجّه حجا قصده... والحجّ: الغلبة بالحجة، يقال حجّه يحجه حجا، إذا غلبه على حجّة...و الحجّ: كثرة الاختلاف والتردد وقد حجّ بنو فلان فلانا، إذا أطالوا الاختلاف إليه.[2]

وإذا رجعنا إلى "ابن فارس" وجدناه حصر مادّة (حجج) في أربعة معان كبرى:"الحاء والجيم أصول أربعة:

1- فالأوّل: القصد: وكل: قصد حج...ثمّ اختُصّ الاسم القصد إلى البيت الحرام.

2- والأصل الآخر الحِجّة، وهي السنة.

1 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1،2000م، مج 4 ، ص37،38 (مادة ح ج ج).

2 الزبيدي: تاج العروس، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 2003 م، ص87.

3- والأصل الثالث: الحَجَاج: وهو العظم المستدير حول العين.

4- والأصل الرابع: الحَجْحَجَة: النكوص"[1]

و بالإمكان من خلال تأمل تعريف "ابن فارس" استخلاص الدلالات التالية:

الدلالة الأولى: القصد والأمُّ.

الدلالة الثانية: المخاصمة والمغالبة بقصد الظفر، حيث يأتي "الحجاج" و"التحاجج" بمعنى الخصومة وذلك باعتبار ما في هذا المصطلح من المغالبة وقصد الظفر.

الدلالة الثالث: الإحاطة والصلابة. فكل محاجج يحاول إحاطة منازعه بالحجج.

الدلالة الرابعة: النكوص، والتوقف، والارتداع، ويدل عليها لفظ " الحجحجة" حيث يقال حجحج عن الشيء: كف عنه.

ويرى الباحثون أنّ "حجاج" بمفهومنا المدروس كلمة عربية أصيلة جاءت في القرآن الكريم، عشرين مرّة فنجدها: بلفظ (حجة) ثلاث مرات[2]، وبلفظ (يحاجوكم) مرتين[3]، وكذلك بلفظ (حجتهم) مرتين[4]، وبلفظ (حاجّ) مرة واحدة[5] وكذلك (حاجوك)[6] وبلفظ (تحاجون)[7] مرتين، وفي لفظة (حاججتم)[8] مرة واحدة، وكذلك (حاجه)[9] و(تحاجوني)[10]، و(حجتنا)[11].

1 ابن فارس: مقاييس اللّغة ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق ، د ط ، ج1، 1979م،ص30.

2 سورة البقرة:150، سورة النساء:165 ،سورة الشورى:15.

3 سورة البقرة:76 ، سورة آل عمران:73.

4 سورة الشورى:16 ، سورة الجاثية :25.

5 سورة البقرة: 258.

6 سورة آل عمران:20.

7 سورة آل عمران:65-66.

8 سورة آل عمران:66.

9 سورة الأنعام:80 .

10 سورة الأنعام:80 .

11 سورة الأنعام:83 .

و(الحجة)[1]، و(يحاجون)[2]. و(تحاجّوننا)[3] و(حاجّك)[4] و(يتحاجّون)[5].

فالحجاج في القرآن الكريم مفهوم معبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب التي تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية، وقد جمع القرآن كلّ تلك الدلالات في ضميمة جامعة هي: " الحجة البالغة".[6]

وفي الحديث النبويّ الشريف في حديث الدّجال:" إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه"[7] أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه .

وفي كلام العرب وشعرهم "فلان تحجّه الرفاق أي تقصده، قال: يحجّون سِبَّ الزّبْرقان المزعْفرا... ومن المجاز: بدا حجَاج الشمس، كما يقال حاجبها، قال ابن مقبل:

فأمست بأذناب المّرّاخ فأعجلتْ***بريماً حجاج الشمس أن يترجّلاَ "[8]

وفي المدلول اللّغوي لكلمة "حجاج" في مصادر لغة العرب مدلول شمولي يتلخص من مدلول الحجة التي هي الدليل والبرهان.

أمّا إذا انتقلنا إلى معنى "الحجاج" في اللغات الأجنبية، فنجد أنّ مقابل لفظ "الحجاج" في المعاجم الفرنسية Argumentaion التي تدل على معان متقاربة، أبرزها ما جاء في تعريف قاموس روبير(le robert):

1 سورة الأنعام: 149.

2 سورة الشورى: 16.

3 سورة البقرة: 139.

4 سورة آل عمران:61.

5 سورة غافر:47.

6 مهابة محفوظ ميارة: مفهوم الحجاج، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق،2006، ص532.

7 مسلم بن الحجاج النيسبوري: صحيح مسلم، مط محمد علي صبيح،القاهرة ، د ت ، 197/8.

8 جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 2004م، ص113.

"هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، وهو كذلك استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيّنة، وهو أيضا الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج".[1]

وفي اللّغة الانجليزية جاء في قاموس كامبردج(Cambridge) أنّ " الحجاج هو الحجة التي تعلل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما".[2] أي أنّ الحجاج هو ما تؤيد به فكرتك أو موقفك إزاء موضوع معين إمّا إيجابا أو سلبا.

و بإجراء مقارنة بين المعنى اللغوي للحجاج في اللغة العربية وبين المعنى الذي يقابله في اللغتين الأجنبيتين الفرنسية والانجليزية نلاحظ شبه تقارب أو توافق بين المعنيين وهو استعمال الحجة وتقديمها دفاعا عن رأي أو موقف معيّن أو اعتراضا عليه.

ب): الحجاج اصطلاحا:

إنّ ارتباط الحجاج بمختلف العلوم والمعارف والفنون، واختلاف تحديداته بحسب السياق الذي يرد فيه، جعل الحديث عن مفهوم دقيق وواضح للحجاج أمرا غاية في الصعوبة، فتعدد مجالات الحجاج وتعدد أساليبه ومضامينه وطرائقه ووظائفه..أنتج تصورات حجاجية متباينة لتباين تخصصات واهتمامات أصحابها، كما جعل الحجاج يتداخل مع مفاهيم أخرى كالبرهان والجدل والخطابة والبلاغة...[3]

و مع ذلك نرصد أهم تعاريف الحجاج بالنظر إليه على أنّه:

---

1 **Le grand Robert, dictionnaire de la langue Française, 1er redaco n, paris, 1989, p535.**

2 **Cambridge advanced learners dictionary, Cambridge University Press, Press, 2nd pub, 2004, p 56.**

3 عباس حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته،مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،العدد 09،2013، ص270.

1."وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته وانتقاداته وتوجيهاته"[1].

2." الحجاج جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه، أو سلوكه اتجاه تلك القضية".[2]

3."الحجاج حاصل نصي من مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعيّ ".[3]

4." الحجاج جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها".[4]

5. الحجاج هو" بذل الجهد لغاية الإقناع، إنّه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقي إلى القضايا التي تعرض عليه، أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة".[5]

6." الحجاج هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها".[6] ومن هذا التعريف نفهم أن الحجاج خطاب بشرط أن يقترن فيه قصدان: قصد الادعاء ويختص به المتكلم، وقصد الاعتراض ويختص به المستمع.

7.الحجاج هو"تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز

---

1 محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول، الهيئة المصرية العمة للكتاب، مصر العدد60، خريف 2002م، ص44.

2 باتريك شار ودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الود،دار الكتاب الجديد، ط 1، 2009م ، ص16.

3 جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني،1982م،ج1، ص446.

4 حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج حدود وتعاريف، عالم الكتب الحديث،ج1،ط1، إربد ، الأردن،2010م ، ص04.

5 طه عبد الرحمن: اللّسان والميزان أوالتكوثرالعقلي، المركز الثقافي العربي،ط1، الرباط،1998م، ص226.

6 أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2006م، ص16.

متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج عنها".[1]

8.الحجاج هو"تلك العملية التي تستهدف عن قصد التأثير على الطرف الآخر، سواء على سلوكه،أو تفكيره لخدمة أغراض معيّنة عن طريق الاستمالة والتأثير على العواطف، أو استهداف عقل المخاطب باستخدام الحجج والبراهين".[2] أي أنّ الحجاج وسيلة هدفها التأثير على القلوب والعقول معا.

9."و الحجة في معناها السائر هي تمشٍّ ذهنيّ بقصد إثبات قضية، أو دحضها، وإمّا دليل يقدم لصالح أطروحة ما أو ضدّها".[3]

10."الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والافحام معا، مهما كان متلقي هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك".[(11)]

وبهذا يمكن القول: أنّ الحجاج لا يكون إلاّ في موطن خلافي، ويجري عادة في سياقه وشرطه التخاطبي بين متكلم ومستمع، فدلالة الحجاج تتضمن معنى المشاركة والتعدد والتفاعل. ويرتكز الحجاج على توجيه الحجج لهدف الإقناع والاستمالة والتأثير.

تلك إذا مجموعة من التعاريف الاصطلاحية للحجاج في مفهومه العائم، أمّا الخوض في مجال الحجاج لاستجلاء مفهومه أكثر، فلابدّ لنا فيه من العودة إلى ماهية الحجاج قديما وحديثا وتتبعه اصطلاحيا في الدراسات الغربية والعربية معا.

---

1 برقان محمد: مكانة البلاغة في الإقناع الخطابي، فصيلة محكمة، طاكسيج كوم للدراسات والنشر، العدد1،2008م، ص45.

2 صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق،ط1،2008م، ص68.

3 محمد سالم ولد محمد أمين:مفهوم الحجاج عند "برلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة،عالم الفكر، الكويت،العدد2، يناير، مارس،2000م،ص53.

ماهية الحجاج في الفكر الغربي والعربي قديما وحديثا:

اندرج الحجاج قديما فيما يسمى بالبلاغة، والخطابة، وفن الإقناع، وكثيرا ما ورد في الثقافتين الغربية والعربية بمعنى الجدل، والتناظر، والإلقاء، وما إلى ذلك، انطلاقا من مؤلفات اليونان إلى أهم ما ورد عند العرب في هذا الشأن.[1]

ثمّ تطور الدرس البلاغي فتناولت الدراسات الغربية الحديثة الحجاج في إطار نظرية شاملة، وكذلك كان هناك تناول عربي حديث للحجاج من خلال تلك البحوث المتواصلة والمكثّفة لمجموعة من اللّغويين. وفي هذا السياق يجدر بنا أن نعرض أهمّ ما جاء حول الحجاج في الفكرين الغربي والعربي.

1- الحجاج في الفكر الغربي قديما:

ترجع جذور نظرية الحجاج في التاريخ إلى الفترة اليونانية وخصوصا مع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، حيث تطرقوا إلى عدّة ظواهر مرتبطة بالممارسة الحجاجية، وفي هذا نعرض بعض ما قدّمه هؤلاء في مجال الممارسة الحجاجية.

أ): الحجاج عند السفسطائيين*:

عُرف عندهم الحجاج بمعنى الخطابة " فهم أوّل من اتجه إلى تكوين الخطباء، وتوجيههم إلى الجدل، وفن الحوار، كما تجلى في أدبيات الخطابة(البلاغة) لديهم. فكانت لهم مشاركة عضوية في تربية الأفراد وإعداد القادة السياسيين والحكام، فلقد درس هؤلاء الأشخاص الخطابة دراسة احترافية(...) ومن هذا أخذت تملك من حيث هي خطاب القدرة على تعبئة النفوس، وتحريك العواطف واستمالة

1 هاجر مدقّن: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1،2013م،ص39.

*السفسطائيين: تيار فكري ظهر في العصر الإغريقي، وقوي خصوصا في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان السفسطائيون يتاجرون بالعلم ويتلاعبون بمبادئ الأخلاق، ويلمسون معالم الحق،ويبذرون بذور الشك في كلّ ما يصادفونه، والسفسطة كانت في الأصل لقب تقدير وهي تعني:"الحكيم والرجل ذا الكفاءة المتميز في كل شيء".

الوجدان(...) ولهذا اختار الخطابة السفسطائية حجاجا ذاتيا قوامه الإنسان الذي صار مقياس كلّ شيء".[1]

حيث اهتموا بالطرق التي تؤدي إلى الإقناع والتأثير، والسفسطائيون مارسوا الحجاج للحصول على سلطة المجتمع، وعلّموا الشباب الخطابة، فهي عندهم من أهمّ العلوم التي تهيء الإنسان للنجاح السياسي، وهذا ما يؤكده "بروتاغوراس" في قوله: "أوافق على أنني سفسطائي ووظيفتي تعليم الناس".[2]

ب): الحجاج عند أفلاطون*:

تتحدد معالم الممارسة الحجاجية عند أفلاطون في تحديده لمفهوم الخطابة والجدل في محاوراته ضدّ السفسطائيين.

وحدّ **الخطابة** عنده" صناعة قيادة النفوس بالقول "[3]أي قيادتها إلى الحق والخير لا إلى تحقيق المأرب بسلطة القول. فالخطابة بنظره ليست فضاء تفاعل قولي بين الإنسان والإنسان، وإنما هي فعل قولي أخلاقي فهو كان يطمح أن يجعل الحجاج الذي بين الإنسان وغيره قاصدا إلى الخير والفضيلة.

و يرى أفلاطون أن صناعة الخطابة تبنى من خلال ثلاثة أركان تتمثل في:[4]

1- اعتماد المنهج الجدلي.

2- معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقوال.

---

1 حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج حدود وتعاريف، عالم الكتب الحديث،ج1،ط1، إربد ، الأردن،2010م ، ص06-07.

2 حمادي صمود: الحجاج عند أرسطو: ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوية، تونس،1998م، ص61.

*أفلاطون فيلسوف يوناني قديم عاش بين(347ق.م/427ق.م) ولد بأثينا،من أشهر فلاسفة اليونان،كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل.

3 حمادي صمود: الحجاج عند أرسطو: ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،ص79.

4 المرجع نفسه ،ص80،81.

3-معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب.

أمّا الجدل فجعل منه أفلاطون منهجا فلسفيا فهو بالنسبة إليه صناعة ملوكية فالجدل عنده يقترب اقترابا شديدا من العلم ومن خلاله نقل الحجاج من مجال الظن إلى مجال الحقيقة،و لّما كان الجدل هو الحوار والمناقشة يكون من خلال السؤال والجواب، فإنّ أفلاطون قدّم ممارسته لهذا الفن من خلال عمليتين هما: عملية تأليف وعملية تقسيم أو تفريغ[1].

فالعملية الأولى كما سماها البعض" جدلية صاعدة وبها يتجاوز عالم المحسوس إلى الخير الأسمى، والعملية الثانية بجدلية هابطة من الخير الأسمى إلى العالم المحسوس".[2]

ج): الحجاج عند أرسطو*:

اهتم أرسطو بفنون الكلام، لاسيما الخطابة والشعر، وكان ممن نظّر للفنين معا، إذ انطلق في تنظيره للخطابة مما وضعه "سقراط"، حيث جعل لها خطتين: جدلية ونفسية. ورأى أنّه لابدّ للخطابة الجدلية من أمرين: التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرقة ليتمكن من تحديد الكلام، والتحليل الذي يرد الفكرة إلى آراء جزئية، وسمى أصحاب القدرة على التركيب والتحليل(جدليين) فالخطابة عنده نوع من الجدل، أو هي الجدل بعينه.[3]

وربط "أرسطو" بين خاصة الكلام والتعبير عند الإنسان وبين الإقناع: "فالإنسان لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع، ويحاوله، ويحاول أن يصل

---

1 هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص81.

2 جميل حمداوي: نظريات الحجاج، شبكة الألوكة **www.alukah.net** ، ص13.

*أرسطو ولد عام384 ق.م ، شمال اليونان وهو أحد تلاميذ أفلاطون، كتب في مواضيع متعددة : الفيزياء، الشعر، الخطابة، المنطق،ويعدّ من كبار فلاسفة الغرب بعد أفلاطون.

3 أرسطاليس:كتاب الخطابة، ترجمة:إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1953م، ص22،23.

بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حوبي به من الطبيعة".[1]

ويجد "أرسطو" أنّ الخطابة والجدل متصلان ببعضهما، ويرى أنّ " كلّ الناس يلجئون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة، وكلّ إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجة من الحجج أو يدعمها".[2] وفي هذا تركيز على الحجج لذاتها كوسيلة للإقناع.

وتقوم الخطابة عند "أرسطو" على ثلاثة أنواع"...ما يتصل بأخلاق الخطيب نفسه وما يتصل باستعداد السامعين، وما يتصل بالخطبة نفسها إذا كانت استدلالية في حقيقتها أو في ظاهرها"[3].فكان النوع الثالث ما يسمى بالاستدلال المنطقي، وهو وثيق الصلة بالحجاج الآن، كونه خاصا بالحجة نفسها، وبتحقيق الاستمالة والتأثير بالقول.[4]

و يعتبر أرسطو عمدة في الحجاج، حيث تناول الحجاج من زاويتين متقابلتين من زاوية بلاغية يربطه بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها الضرورة، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدّمه "أرسطو" لمفهوم الخطاب، إذ يبنيه انطلاقا من أنواع الحضور ومن الرغبة في الإقناع. [5]

ومن هذه الإشارة القصيرة للحجاج الأرسطي، نلاحظ أن الحجاج عنده ارتبط بالجدل من ناحية وبالخطابة من ناحية أخرى.

---

1 نفسه،ص24.

2 نفسه،ص75.

3 نفسه ، ص84،85.

4 جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب،مصر،د ط، 2000م، ص109.

5 محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللّسانية، دار الثقافة،المغرب،ط1، 2005م، ص15.

2- الحجاج في الفكر العربي قديما:

ورد مصطلح الحجاج مرادفا للجدل في اصطلاح العرب القدماء فهو" الحجاج والاحتجاج والجدل والمجادلة، ويضرب الحجاج بجذور قوية في الخطاب العربي، فضلا عن الدور المهم الذي لعبه الحجاج في الحياة العقدية والسياسية في البيئة العربية الإسلامية[1].

ولقد أولى العرب قديما الكلام والتخاطب عناية كبيرة، فعمدوا إلى تقسيم وجوه الكلام ومناسباته وصفته تناسبا مع متلقيه أيّا كان، ومهما كانت طبقته من الناس. وذُكر الحجاج عندهم بتسميات اختلفت باختلاف أصحابها وتوجّهاتهم.

أ): الحجاج عند الجاحظ:

عُرف الجاحظ أنه رجل محاجّة وعالم كلام متميّز، وبلاغي فذّ، فما جاء به في كتابي " البيان والتبيين" و" الحيوان" يعدّ من تلك الأبحاث التي ترتبط بالبيان، والتي يمكن أن نجعل بينها وبين البحث الحجاجي علاقة.

فالبيان عند الجاحظ " يرد بمعنى الإيضاح والإفصاح، من هنا يكون البيان ذو علاقة بالخطاب حيث يعني الإبانة والإرسال أو الإبلاغ المبين الذي يتمّ عبر اللغة وغيرها"[2] ،وهو" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان من أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[3]

---

1 محمد العبد: النص الحجاجي العربي، ص45.

2 جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م،ص143،144.

3 الجاحظ: البيان والتبيين، المجلد الأول، الجزء الأول والثاني، وضع حواشيه، موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م،ص60.

من تعريف الجاحظ للبيان تظهر العلاقة بين الحجاج والبيان، إذ يمكن عدّه من مباحث الحجاج، لإرتباطه بالكشف عن المعنى، ويكون هذا بدليل الفهم والإفهام والغاية من الكلام، وهتك الحجب، وهو يعني الإقناع وهذه كلّها عناصر العملية الحجاجية.

و يشير الجاحظ إلى آليات البيان ووسائله" وأنّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأنّ ذلك من أكبر ما تُستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق"[1]

فآليات البيان عند الجاحظ هي آليات لاستمالة القلوب والإقناع وهو ما له صلة بالحجاج.

وخلاصة القول أنّ الحجاج إن لم يذكر بمصطلحه، فهو البلاغة والبيان عند الجاحظ، باعتبار أنهما عناصر منطقية معقولة من خلالها يتم استمالة عقل المتلقي والتأثير فيه، ومن ثم يتحقق الهدف الأساسي للحجاج وهو الإقناع.

ب): الحجاج عند ابن وهب:

يجعل "ابن وهب" الاحتجاج نوعا من أنواع النثر على سبيل التصنيف:"فأمّا المنثور فليس يخلو أن يكون خطابة أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"[2] وموضع الاحتجاج عنده في " الاحتجاج على من زاغ"[3]، وهو يوظفه في تعريف الجدل" وأمّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب،والديانات

1 نفسه، ص16.

2 أبو إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر،د ط، دت ط، ص150.

3 نفسه،ص150

وفي الحقوق، والخصومات، والتوسل في الاعتذارات، ويدخل في الشعر، وفي النثر"[1]. فالحجاج عنده آلة من آلات الجدل.

ونذكر أن ابن وهب عالج البيان وأورد له أربة أوجه" منه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تُبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللّب ومنه البيان باللسان، ومنه البيان بالكتاب الذي يُبلغ من بَعُد وغاب"[2]فالأوجه التي عدّها أوجه حجاجية بامتياز.

وابن وهب يبيّن قيمة الاحتجاج وإقامة الحجّة عند العلماء" وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجّته وبيّن عن حقه".[3]

ج): الحجاج عند السكاكي:

يمكن اعتبار المحطة الأولى للدرس الحجاجي عند "السكاكي" حين أدرج المقام في تعريفه لعلمي (المعاني والبيان)، فيقول:" إذا تحققت أنّ علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام، ومعرفةصياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها، علمت أنّ تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان".[4]

لقد جعل "السكاكي" الاستدلال بمثابة شرط في الكلام، وربط علم المعاني والبيان بالاستدلال، بل هو يشترط في المتكلم- ليوفي حق كل مقام مقاله – أن يكون عالما بالبيان والمعاني، خاصة إذا كان المقام مقام استدلال، فعليه نظم الدليل ليُمكّن قصده من السامع، فالمتكلم حين تروم التأثير في السامع عليه نظم الحجة والدليل.

---

1 نفسه،ص176.

2 نفسه، ص56.

3 نفسه، ص 177.

4 السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1، ص543.

و لهذا كان لمفتاح "السكاكي" علاقة بالحجاج، فنظم الحجة هو ما يقصده المُحاجج ليقنع السامع. والمصطلح الحجاجي الذي يمكن رصده في أقوال " السكاكي" وإدراجه في الدرس الحجاجي، هو: الكلام الاستدلالي، ونظم الدليل، والقصد ومراعاة حال المتكلم والسامع والمقام.

و نخلص إلى أنّ معالجة العرب القدامى في بلاغتهم ودراستهم للحجاج بمصطلح البيان ظهرت في ثلاث اتجاهات أساسية:

الأوّل: اتجاه أدبي خطابي ويمثله "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين".

الثاني: اتجاه منطقي فقهي ويمثله "ابن وهب" في كتابه "البرهان في وجوه البيان".

الثالث: اتجاه بلاغي منطقي ويمثله "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم".[1]

وبهذا تظهر علاقة التوافق بين مصطلح الحجاج ومصطلح البيان في البلاغة العربية القديمة.

كما يجدر بنا أن نشير إلى أنّ البحث في الجدل والبلاغة العربية الإسلامية إنتاجا وتنظيرا، نجده قد تعدى البحث البلاغي العربي إلى فروع أخرى من هذا الفكر، فهو لم يكن داخل مجال البلاغة فقط وإنّما نلمسه في فروع أخرى من العلوم خاصة علوم القرآن، وعلم الكلام، وعلم أصول الفقه، والفلسفة وغيرها.

3- الحجاج في الفكر الغربي حديثا:

عمد الباحثون الغربيون في العصر الحديث إلى بلورة مفهوم الحجاج بعيدا عن مناورات الخطابة وصرامة الجدل. وهكذا برزت مجموعة من الدارسين في هذا المجال فكانت البداية مع كتابي:"استعمالات الحجاج Les usages de l'argumentation" لـ" تولمين"، و"مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة Traité de l'argumentaion: la nouvelle rtétorique" لـ" بيرلمان وتيتيكا" الصادرين سنة 1958م، حيث حاول

1 جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م، ص143.

الباحثون وضع الحجاج في إطار فلسفي عام، بعدهما عولج الحجاج في نطاق لساني فيما يعرف بنظرية الحجاج في اللّغة مع "ديكرو وانسكومبر" .[1] وفي هذا المقام نكتفي بعرض لمفهوم الحجاج عند أبرز الغربيين المنظرين له حديثا .

أ): الحجاج عند برلمانC.Perlman ،وتيتكاه O.Tyteca:

حاول المؤلفان من خلال مصنفهما في الحجاج، بعث بلاغة الإقناع بعد الإهمال الذي لحقها لقرن طويلة، وذلك بإخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل، كما عملا على تلخيص الحجاج من" تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله ودفعه دفعا إلى القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها"[2]، وتهمة صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع "[3]

فالحجاج المقصود عند برلمان وزميلته نستشفه من تحديد موضوع نظرية الحجاج المتمثل في" دراسة التقنيات الخطابية التي تمكن من إثارة وتعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدمة"[4]

أمّا عن الحجاج في إطاره البلاغي مع برلمان وتيتكا، فنجدهما يركزان على "غاية الحجاج الأساسية وهي الإقناع، أي جعل العقول تذعن وتسلم بما يطرح عليها"[5]

---

1 عبد العالي قادة: بلاغة الإقناع- دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م، ص14،15. (بتصرف).

2 عبدالله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج،ص298.

3 نفسه،ص298

4 عبد العالي قادة:بلاغة الإقناع،ص158، عن Ch.Perleman et O.Titika :Traité et l'argumentation –la nouvelle rhétorique .Edition de l'université de Bruxelle .5eme edition .2000p:5.

5 عز الدين الناجح: العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال دراسة تداولية لسورة الإخلاص، مجلة المجمع الجزائري في اللغة العربية، العدد السادس، السنة الثالثة،ذو الحجة1428ه،ديسمبر2007م،ص166.

ويتعلق الحجاج أو البلاغة الجديدة عندهما " بالخطاب الموجه إلى كلّ أنواع المستمعين سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عمومية أم تعلق باجتماع المختصين أم بشخص واحد أم بكل الإنسانية، بل إنّها تهتم بالحجج التي يوجهها الشخص إلى نفسه في مقام حواري"[1]

وهذا المستمع الذي قام برلمان بتثويره، يعتبر عنده محور الحجاج، وقوة الحجة رهينة بمن تُوجّه إليه،إذ ليس هناك حجة قوية وحجة ضعيفة مطلقا، بل تكون حجة ما قوية بالنسبة لهذا المستمع، ضعيفة عند ذاك.[2]

و يتميّز الحجاج عند "بيرلمان" بخمسة ملامح رئيسية:

1- أن يتوجّه إلى مستمع.

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر تقدمه- تناميه – إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- ليست نتائجه ملزمة.[3]

ومن خلال هذا نستخلص أنّ التحديد الذي قدّمه كلّ من "برلمان وتيتكا" للحجاج قد أعطى مكانة مميزة للإقناع إذ جعل منه" لبّ العملية الحجاجية، كما اعتبره أثرا مستقبليا يتحقق بعد التلفظ بالخطاب لينتج القرار بممارسة عمل معين أو اتخاذ موقف سواء بالإقدام أو بالإحجام"[4]

1 محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، الرباط، 2005م، ص355.

2 محمد مشبال: البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، ط1،2014م، ص152.

3 حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، يوليو، سبتمبر،2001م، ص76.

4 عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م، ص457

ب): الحجاج عند انسكومبرJ-C.Anscombre وديكروO.Ducrot:

حاول كلّ من انسكومبرJ-C.Anscombre وديكروO.Ducrot أن يبرزا لنا مفهوم الحجاج من خلال مؤلفهما "الحجاج في اللّغة ".وبيّنا "أن مصطلحي البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جدّ مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية "[1]، وأنّ الحجاج عندهما يكمن في اللّغة وليس فيما يتأسس عليه الخطاب من منطق رياضي أوشكلي وصوري، خلافا لما هو عند بيرلمان Perlman وتيتكاه Tyteca.

كما يريان أنّ :" لكثير من الأفعال القولية وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل، وتحمل الجمل مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية، باستقلال عن المحتوى الإخباري ".[2] فهما يؤيّدان أنّ أيّ خطاب له وظيفة حجاجية، فالحجاج عندهما يتمثل في " تحقيق عملين اثنين هما فعل التصريف بالحجة من جهة وفعل النتيجة من جهة أخرى، سواء أكانت هذه النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من طرف ق*1". علما أنّ ق1 تمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور ق2 ويكون ق2 هذا قولا صريحا أو ضمنيا.

فالحجاج اللغوي من خلال مفاهيمهما عبارة عن خطاب مُبَنْيَن من طرف المتكلم، مشروط بطرح مجموعة من الحجج متعلقة بمجموعة من القضايا تؤدي في الأخير إلى التسليم بالنتائج المتوصل إليها.

ويتضح عندهما أنّ وظيفة الحجاج تقوم على" التوجيه L'orientation" و" أنّ كلّ حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفاعلية الخطابية في تعلقها بالمتكلّم، والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنّها تعد فعلا قصديا متميّزا، ويظهر تميّز قصدية الجهة

---

1 L'argumentation Dans le Discours Ruth Amossy-France –Edition Nathan-2000.p217.

2 محمد طروس : النظرية الحجاجية ، ص106.

* ق1،ق2هي عبارة عن حجج ، و ق1 تؤدي الى ظهور ق2.

الموجهة في أمرين هما: عدم انفكاك القصدية عن اللغة وتراتب القصدية ".[1] مع العلم أنّ الحجة لا تفارق اللغة، وأنّ اللغة هي مجال القصدية، وهو ما يؤكد أنّ الحجاج يكمن داخل إطار اللّغة. فعلى مستوى السامع يكون التوجيه بالتأثير فيه، و" من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أيْ (إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي) لديه."[2]

4-الحجاج في الفكر العربي حديثا:

أ): الحجاج عند طه عبد الرحمان:

يعتبر طه عبد الرحمان من الدارسين العرب الذين عالجوا الحجاج بوصفه آلية لغوية يستخدمها المرسل للإقناع، ويظهر ذلك جليّا في مؤلفه" في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" حيث أورد تعاريف مختلفة للحجاج، ومن أهمها أنّ" الحجاج تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي(...) وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة".[3] كذلك يرى "طه عبد الرحمان" الحجاج "فعالية استدلالية خطابية مبناها عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعترض عليه استنادا إلى موضوعات البحث عن الحقيقة الفلسفية"[4]. فمن هذه التعاريف يظهر أنّ "طه عبد الرحمان" يتحدث عن الحجاج مرة على أنّه فعالية تداولية، ومرة أخرى بوصفه فعالية استدلالية خطابية.

1 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، ص259.

2 عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص444

3 طه عبد الرحمان: في أصول الحوار والتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000م،ص65.

4 نفسه،ص65.

وفي كتابه" اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي" نجده عقد بابا أكدّ فيه على أنّ أصل تكوثر الخطاب، هو صفة حجاجية، انطلاقا من أنّه لاخطاب بدون حجاج."[1] ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفا خاصا ينبني على قصدين معرفين: هما" قصد الادعاء"و" قصد الاعتراض". أمّا قصد الادعاء فهو" الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذن فالمدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله "[2] وقصد الاعتراض يكون من المخاطب أو المنطوق له" وهو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي" ومن هنا يصح أن يكون المنطوق به خطابا حقا، أي بتوفر الادعاء والاعتراض، أو الحجاج الذي يعرفه الحجاج أنّه " كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[3]

وقد حدد طه عبد الرحمان النماذج التواصلية بناء على أنّ كلّ تواصل حجاج فنجده يقف على ثلاثة نماذج تواصلية للحجة وهي:[4]

النموذج الوصلي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل.

النموذج الإيصالي للحجة: وتكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال.

النموذج الاتصالي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال.

كما تحدث عن أصناف الحجاج ومراتبه، وركز أيضا على دراسة السلم الحجاجي، ونجده أيضا خصص فصلا كاملا للحديث عن الاستعارة وسماه" الاستعارة بين الحساب والحجاج" باعتبارها من أقدر الأساليب التي تدعم موقف المرسل لتحقيق الإقناع.

1 طه عبد الرحمان: اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص213.

2 نفسه،ص225.

3 نفسه،ص226.

4 نفسه، ص255،256.

من خلال هذا لمع طه عبد الرحمان في مجال التداولية والحجاج، واستطاع تحديد مفهوم لطبيعة الحجاج. غير أنّ نظرته للحجاج تمتاز بطابعها الفلسفي.

ب): الحجاج عند محمد العمري:

يسميه " الخطاب الإقناعي" في كتابه:" في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية"، ويعد كتابه هذا الصادر سنة 1986م في طبعة أولى" أوّل كتاب في المكتبة العربية يخصص لموضوع الإقناع في البلاغة العربية"[7]، وفيه محاولة لتتبع الخطاب الإقناعي في المتن الخطابي العربي في القرن الهجري الأول، إذ اعتمد على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب، خاصة الحجج والبراهين الخطابية، مركزا على عنصرين من عناصر الإقناع في البلاغة العربية القديمة وهما: المقام، وصور الحجاج:(القياس، المثل، الشاهد)، إضافة إلى عنصر الأسلوب. ونظرته للحجاج أو الخطاب الإقناعي في هذا الكتاب كانت بمنظور أرسطي.

إنّ بلاغة الإقناع مسألة مركزية في دراسات محمد العمري فلا يكاد يوجد كتاب من كتبه إلاّ وخاض بالتدقيق في الإقناع وقضاياه، لاسيما وهو يعدّ البلاغة" علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا، إيهاما وتصديقا."[1]

أمّا في كتابه:" البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" يعمد إلى تسمية المصطلحات الحجاجية بالإتكاء على أصولها البلاغية العربية، خاصة في قراءته لمفهوم البيان عند الجاحظ، وللفهم والإفهام ببعديهما المعرفي والإقناعي.

فالإقناع ناتج عن مجموع مؤهلات وصفات انتقاها "محمد العمري" من كتاب الجاحظ" البيان والتبيين" وفي ذلك اعتمد " إعادة صياغة للمصطلحات وفق تناسبها مع المعاني المتضمنة في النظريات اللسانية المستحدثة. لنجد أنّ الفرق الوحيد بين القديم والحديث كامن في قطبين اثنين هما: العام والخاص، فالحجاج بمنظور قديم عبارة عن

1 محمد العمري: البلاغة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005م، ط1، ص6.

تقنية أو آلية مميزة في الخطابة خاصة، وهو بالتالي عبارة عن خاص ضمن عام. أمّا بالمنظور الحديث فهو في طور صياغته كموضوع عام مستقل."[1]

وصفوة القول أنّ الجهود العربية الحديثة في مجال الحجاج جاءت في طيات دراسات وأبحاث وكتب وترجمات، فهي مختلفة من باحث إلى آخر، وبذلك ظهرت مجموعة من الأعمال والدراسات المتنوعة في هذا المجال المرتبط بالحجاج.

1 هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه،ص64.

الفصل الثاني:

- تعريف بالإمام الباقلاني
- وصف مدونة" إعجاز القرآن" للباقلاني
- مرتكزات الحجاج وآلياته في كتاب" إعجاز القرآن" للباقلاني

تعريف بالإمام الباقلاني:

هو الإمام الكبير سيف السنة القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، فاسمه محمد وكنيته أبو بكر، ولقبه الباقلاني.

ولد ونشأ في البصرة، ولّما بلغ مبلغ التعلم رحل إلى بغداد، وأقام فيها حتى حصّل ما حصّل من العلم، ثمّ رجع إلى البصرة، ومنها استدعاه عضد الدولة إلى شيراز، وكانت البصرة وبغداد وشيراز محط رحاله خلال حياته.

كان أبو بكر في عقيدته سنيا، بل كان رأسا من رؤوس أهل السنة، أمّا مذهبه في الفروع فهو المذهب المالكي كما نص على ذلك أكثر علماء عصره. أثنى عليه كثير من الأئمة، وفيه يقول ابن خلكعان:" كان في علمه أوحد أهل زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب،وسمع الحديث، وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة."[1]

ويُعتبَر الباقلاني بين علماء المسلمين المتقدمين من أغزرهم معرفة، وأوسعهم ثقافة، وأخصبهم تأليفا، وكان من كتبه: إعجاز القرآن، والتمهيد، وهداية المسترشدين، والانتصار للقرآن، والإنصاف، وغيرها من الكتب، وقد ذهب أكثر ما كتب بفعل الأحداث وبُعد العهد.

ويَعْتَبِرُهُ العلماءُ رأسَ مدرسة الأشعرية بعد الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري.[2]وقد لازمته كلمة الأشعري في كثير من الأحيان لدفاعه عن هذه المدرسة، حتى قالوا عنه:" إنّه أعرف الناس بعلم الكلام، وفارس ميدانه، وإمام متكلمي أهل

1 ابن خلكعان: وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 4، ص269.

2 أبي بكر الباقلاني: التمهيد، دار الفكر العربي، 1974م، ص9.

الحق، ليس فيهم مثله، لا قبله ولا بعده، لقب بشيخ السنة ولسان الأمة، وهو مجدد الدين على رأس المائة الرابعة.[1]

توفي الإمام أبو بكر البقلاني-رحمه الله- سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة(403هـ).

وصف مدونة"إعجاز القرآن" لأبي بكر الباقلاني:

اهتم هذا الكتاب بقضايا الإعجاز القرآني، وهو من أنضج الكتب في ذلك،بل إنّه في الوقت ذاته من مصادر البلاغة الأساسية، غير أنّ القضايا البلاغية فيه تختلط بمسائل كلامية لاسيما والباقلاني متكلم مشهور مارس فن الجدل والحوار.

وللإشارة فقد تفردت القضايا البلاغية التي تناولها ببعض فصول الكتاب مثل الفصل الطويل الذي خصصه للبديع وكذلك فصل في وصف وجوه البلاغة،وانفردت القضايا الكلامية ببعض من الفصول أيضا، كذلك الفصل في أوّل الكتاب والذي يتحدث عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلممعجزتها القرآن،والبعض الآخر ورد شركة بين القضايا البلاغية والكلامية كالفصل الذي كتبه عن وجوه إعجاز القرآن.

ولا ريب أن يكون غرض الباقلاني بتصنيف هذا الكتاب الدفاع عن العقيدة ممثلة في القرآن الكريم، في عصره الذي اشتد فيه كيد أعداء الدين " فقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف في كلّ يقين، وقلّ أنصاره، واشتغل عنه أعوانه، وأسلمه أهله، فصار عُرضة لمن شاء أن يعترض فيه،حتى عاد مثل الأمر الأوّل على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره"[2]

1نفسه، ص9.

2 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص6.

فالباقلاني وجّه كتابه هذا للجهال الذين تعترض لهم الشكوك في وجه معجزة القرآن بسبب جحودهم وقلّة قبولهم، ومقصده دفع طعون الملحدة، ودحض الشبه المثارة حول القرآن الكريم ونقدها.

وبذلك قام منهجه أساسا على النقد نظرا لطبيعة مقصده كما بيّنا، فهو يصف ويحلل وينتقد كلّ ما يخالف ربانية القرآن الكريم وقداسته، وقد رأى الباقلاني في بحثه عن سرّ الإعجاز القرآني أنّ استكشاف مكونات الخطاب الإعجازي واجب شرعي ديني من أهمّ ما يجب بحثه، كما رآه ضرورة معرفية جمالية لتبيّن تفاوت أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة بين الكلام الإلهي والكلام البشري.

إذن " فالإشكالية الإعجازية لها أس ديني يمس الناحية الاعتقادية انطلاقا من كون القرآن نفسه قررها في أكثر من آية دليلا على مصدريته الإلهية المنزهة عمّا كانوا يصفون، ولها بعدها الأدبي البياني عندما يتعلق الأمر باستكناه حقيقة هذا البيان وتبيّن مقوماته البلاغية والتعبيرية"[1]

ُقبل أن يبني الباقلاني حجاجه فيإعجاز القرآن يذكر جملة من المقدمات دفعته ليتبنى هذا العمل وهي:

*الإعجاز من الضروريات التي يجب على أهل الدين كشفها، لارتباطه بالتوحيد.

* الطعون والشبه المثارة حول القرآن وكثرة خوض الملحدين والجهّال فيه.

* جعل بعض الجهال يَعْدلُون القرآن ببعض الأشعار ويوازنون بينه وبين غيره من الكلام.

* قلّة أنصار القرآن حتى صار عرضة لمن يشاء أن يعترض فيه.

* الحاجة الماسة إلى بسط القول في إبانة وجه معجزة القرآن.

1 سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص8.

* الإضافة إلى ما سبق في بيان وجه معجزة القرآن.

* إسقاط الشبهات وإزالة الشكوك التي تعترض للجهال وكلّ ما يعرض من طعن للأفهام في وجه معجزة القرآن.[1]

وتأسيسا على هذا يمكن اعتبار كتاب"الإعجاز" للإمام الباقلاني مؤلفا ضمن الخطاب الحجاجي بجدّ، كونه جاء لمنافحة الملحدين وردّ مطاعنهم وشكوكهم في القرآن الكريم، كلام الله المعجز الذي يعلو ولا يعلى عليه.

وبما أنّ الحجاج يستدعي مسوغات وأدلة لصالح الأطروحة المدافع عنها،كان لابدّ للباقلاني في العملية الحجاجية التي تبناها لإقناع وترسيخ الخطاب في جمهور المتلقين من آليات وتقنيات، مثله مثل كلّ محاجج يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع المقام. وبما يخدم دعواه.

1 الباقلاني : إعجاز القرآن، ص6.

مرتكزات الحجاج وآلياته عند الباقلاني:

تجلّى الحجاج عند الباقلاني بمستويات مختلفة ضدّ ما يعتقده الملحدة والمبطلة في إعجاز القرآن الكريم، وكانت مرتكزات الحجاج تجمع بين مرتكزات عقلية خالصة متعلقة بالعقل خاصة من خلال ذلك الحجاج الجدلي وبين مرتكزات عاطفية بالأساس تصل أحيانا إلى حدّ الإثارة .

وهكذا تعددت مظاهر الحجة في مدونة الباقلاني، إذ يستحيل الوقوف عليها جميعا في هذا البحث، ولذلك نعمد إلى التمثيل لبعض الآليات الحجاجية .

1- حجة القياس:

"هو قول مؤلف من قضايا متى حصل السلم بها لزم عنه لذاته قول آخر"[1] وللقياس دور هام في الحجاج،لأن لمقدماته صورعديدة فمنها : ماهو معلوم علم اليقين، ومنها المظنون، ومنها المحسوس، ولكل منها درجته الحجاجية، بحيث يعمد المحاجج إلى التركيز على الجزء الذي يخدم بناءه الحجاجي[2].

ويتألف القياس كآلية منطقية من مقدمتين: مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ثم النتيجة، فالمقدمة الكبرى هي من المسلمات عندى المتلقي، وتعتبر منطلق الحجاج،وبإضافة الاستدلال نحصل على نتيجة القياس، وهذا حسب مقصد المحاجج فقد يقدم وفق ما يقتضيه المتلقي أو الخطاب. وتعدّ دراسة القياس صعبة من ناحية الكشف، لأن القياس يرتبط بألفاظ وعبارات تبرزه،ولهذا قد نغير بعض الجمل مع الحفاظ على مضمونها أثناء التمثيل. ونحن نذكر من أنواع القياس الذي وظفه الباقلاني:

---

1 أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة،دار الأرقم بن أبي الأرقم، د ط، د ت، ص83.

2 محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط2008،1م،ص 197.

القياس الإضماري:وهو الذي تحذف فيه إحدى المقدمات، الكبرى منه أو الصغرى لظهورها، دلالةعلى حذفها[1] وعدم ذكر إحدى المقدمات لا يقلل من قوة الاستدلال وطاقته الحجاجية.وهنا نعرض بعض صوره:

قال الإمام الباقلاني:" الذي يوجب الاهتمام التامّ بمعرفة إعجاز القرآن، أنّ نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة."[2] فالقياس المضمر على نحو ما جاء فيما أوردناه من فصل(نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن) هو:

-المقدمة الكبرى: المعجزة دليل على صدق من جاء بها.

-المقدمة الصغرى: نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم مبنية على معجزة القرآن.

-النتيجة: إعجاز القرآن إثبات لصدق نبوة نبيّنا، ومعرفة هذا الإعجاز واجب ديني.

فالباقلاني حريص كل الحرص على أهمية البحث في إعجاز القرآن لما له من صلة بالعقيدة، فهو بنظره أصل الدين وعماد ونظام التوحيد وبرهان على صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الباقلاني في كون أنّ القرآن برهان وحجة:"فلولا أنّه برهان قاهر لم يذم الكفار على العدول عنه، وم يحمد المؤمنين على المصير إليه" فالقياس هنا كالآتي:

-المقدمة الكبرى: كلّ ما أُنزِل وأتت به الرسل لتبشر وتنذر فهو برهان وحجة.

-المقدمة الصغرى: القرآن نزل يبشرالمؤمنين وينذر الكفار.

-النتيجة: القرآن برهان وحجة.

ثمّ تكون هذه النتيجة مقدمة لقياس آخر:

1الغزالي معيار العلم في المنطق، دط، دت، ص103.

2 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص9.

-**المقدمة الكبرى**: البرهان يلزم القبول.

-**المقدمة الصغرى**: القرآن برهان.

-**النتيجة**: القرآن يلزم القبول.

غير أن الباقلاني يستدرك هذا فيتحدث عن المجادلين الذين خالفوا آيات الله في ذكر الوعيد على ترك القبول، فيخبرنا: "أن جدالهم في هذه الآيات لا يقع بحجة، وإنّما يقع عن جهل، وأنّ الله يطبع على قلوبهم، ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان لجحودهم، وعنادهم، واستكبارهم"[1]

وإذا تأملنا القياس المضمر هنا، نجد:

-**المقدمة الكبرى**: الذين لم يقبلوا القرآن، جادلوا في آياته.

-**المقدمة الصغرى**: الجدال في برهان القرآن، لا يقع بحجة، بل بجهل.

-**النتيجة**: الذين جادلوا في آيات القرآن جهّال.

2- حجة التجزئة:

"هي أن تذكر أجزاء الموضوع المرادبيانه،وتتبع تلك الأجزاء، وتحليلها وتشريحها وتقييمها،ويكون الحكم عليها بالإثبات أو النفي"[2]ومن ذلك قول الباقلاني في حديثه عن عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن:" ويبين ذلك أنّك إذا تأملت...إلى الوجوه التي يصرف إليها قولهم في الطعن عليه:

فمنهم من يستهين بها ويجعل ذلك سببا لترك الإتيان بمثله.

ومنهم من يزعم أنّه مفترى، فلذلك لا يأتي بمثله.

ومنهم من يزعم أنه...أساطير الأولين.[3]

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص11.

2 الجدل في القرآن، محمد التومي،(د-ط)، شركة الشهاب، الجزائر،(د- ت)، ص181.

3الباقلاني : إعجاز القرآن،ص18.

فالباقلاني يدفع خصمه بهذه الآلية حتى يسد أمامه كل منفذ وكأن كلّ فئة ممن ذكر تصلح أن تكون دليلا كافيا على عجز العرب عن معارضة القرآن الكريمفالأعذار كثيرة تضمنت تجزئة في الاستدلال،ولكن جميعها دليل كلي على معجزة القرآن.

وهذا التقسيم والتجزيء يجعل الخصم يقف أمام هذه الأنماط المتكررة من الأعذار الواهية المضطربة التي تسوقه لنفيها والحكم عليها بالبطلان.

3- حجة التعريف:

يرتكز تحديد وتعريف المفاهيم والموجودات والأحداث على التبرير الحجاجي" ذلك لأن التعريف يحرك العملية الاستدلالية ويقدم اختيارات دون أخرى كما يشكل حكما على الأشياء، أو تقويما له"[1] ومن ذلك ما ذكره الباقلاني في أوجه إعجاز القرآن متكلما بالضبط عن الإعجاز في نظم القرآن قائلا:" والوجه الثالث:أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة، إلى الحدّ الذي يعلم منه عجز الخلق عنه. والذي أطلقه العلماء هوعلى هذه الجملة"[2] فهذا التعريف الوصفي الذي أطر فيه الباقلاني حد النظم في القرآن، بالتناهي في البلاغة إلى درجة الإعجاز.

والباقلاني يقول في موضع آخر "أنّه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم...ليس من قبيل الشعر، ولا السجع،ولا الكلام الموزون غير المقفى.."[3]ومن هذا التحديد يقرّ الباقلاني بحجة أنّ إعجاز القرآن بنظمه يخرج عن تجنيس الكلام الأدبي عند العرب. وهنا تتحدد فعالية آلية التعريف الحجاجية في كون المجادل يدفع الخصم من خلاله إلى إعادة النظر في دعواه،لأنه يدرك حقيقتها.

1 خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي(مقاربة لآليات بلاغة الإقناع)، أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه في الآداب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، السنة الجامعية 2003-2004، (مرقونة). ص78.

2 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص30.

3 المصدر نفسه،ص41.

وفي حقيقة المعجز يقول الباقلاني "إن القرآن معجز على أصولنا أنّه لايقدر العباد عليه...لايصح دخوله تحت قدرة البشر، وإنّما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه...وكذلك سائر معجزات الأنبياء على هذا."[1] فالباقلاني يورد تعريفا على طريقة أصحابه الأشاعرة في حقيقة المعجز.وقد بنى حجته بهذه الآلية انطلاقا من البيئة الإسلامية التي نشأ فيها فتعريفه يرتكز على منهج قرآني يتمحور حول فكرة التوحيد.فهذه حجة ينتصر بها لمذهبه.

ولا يفوتنا أن نذكر بأنّ الباقلاني أورد كثيرا من التعاريف للشعر والسجع والبديع والبلاغة وكلّ ما قدّمه من تحديدات فقط ليجعل هذه الأجناس والتقاليد الأدبية التي عرفها العرب تُعبِّر عن شيء واحد هو محدودُ البشر مع النّص المفارق لإبداع البشر ومعاييرهم. وبهذا يؤكد الباقلاني أنّ القرآن نص قد خرج عن العرف وخرق العادة وكان فوق طاقة البشر.

4- حجة المقارنة:

تؤدي دورا هاما في الحجاج، إذ من الضروري الموازنة بين قضيتين، للانتصار لهذه القضية أو تلك، فالمقارنة عملية قوامها جمع شيئين أو عدّة أشياء في عمل فكري واحد، لاستخلاص تماثلاتها أو تبايناتها.."[2] فهذه الآلية مهمة للمحاجج لإبراز أوجه التشابه أو الاختلاف بعد الموازنة بين فكرتين أو شيئين.

وقد دارت رحى الحجاج عند الباقلاني على هذه الآلية التي وظفها كثيرا لا سيما وهو الذي اختار سبيل المقارنة بين النص القرآني وبين ألوان التعبير الأخرى.

---

1 المصدر نفسه، ص181.

2أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، مطبعة عويدات، بيروت،ط2،2001م،ص187.

والباحث بيرلمان يتحدث في مثل هذا بقوله:"إنّ اختيار طرف المقارنة يجب أن يحظى بعناية كبرى، لأنه يلعب دورا أساسيا في فعالية هذه الحجة"[1] ومن هذا بلغ الباقلاني هدف الإثارة عبر آلية المقارنة التي عدّها بيرلمان حجة شبه منطقية.

ومن المقارنة ما نجده من موازنة بين القرآن وأشكال التعبير، وعلى الأخص الشعر لذلك تناول الباقلاني قصيدة امرئ القيس(معلقته) إذ يقول:" وأنت لا تشك فيجودة شعر امرئ القيس، ولا ترتاب في براعته، ولا تتوقف في فصاحته، وتعلم أنّه قد أبدع في طرق الشعرأمورا اتبع فيها...وقد ترى الأدباء أوّلا يوازنون بشعره فلانا وفلانا...وربما فضلوهم عليه أو ساووا بينهم وبينه...وإذا جاؤوا إلى تعداد محاسن شعره، كان أمرا محصورا وشيئا معروفا، أن تجد من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره...لأن الجنس الذي يرمون إليه والغرض الذي يتواردون عليه، ممّا للآدمي فيه مجال، وللبشري فيه مثال، فكلّ يضرب فيه بسهم، ويفوز بقدح، ثمّ قد تتفاوت السهام تفاوتا، وتتباين تباينا..."[2] ويستأنف فيقول:" ونظم القرآن جنس مميز، وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص.."[3]

فحجة هذه المقارنة هي أنّ القرآن يفارق ألوان التعبير عند العرب، والهدف من إجراء هذه الموازنة إثبات إعجاز القرآن وتفوقه وهو هدف مسلم به مسبقا وإن كان الباقلاني قد أشار إلى أن من دوافع عمله هذا أنّ من خصوم القرآن من" جعل يعدله ببعض الأشعار، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام، ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه"[4] فمساواة القرآن بالشعر يعني نفي إعجازه، ومن ثم فلا سبيل إلى إثبات

1الحسين بنو هاشم،نظرية الحجاج عند شاييمبيرلمان،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط1،2014م،ص69.

2 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص106.

3نفسه،ص106.

4نفسه،ص06.

إعجاز القرآن إلاّ بنفي جنس الشعر عنه. والباقلاني في هذا الإطار يعمد أيضا إلى بعض قصائد البحتري، فيتكلم عليها كما تكلم على قصيدة امرئ القيس لتزداد أطروحته حجة وإقناعا.

والباقلاني يختار من الشعراء امرأ القيس لأنّه في نظره كبيرهم الذي يقرون بتقدمه ويعترفون بفضله، كما يختار البحتري الذي اقتصر عليه فقط لأنّ الكتاب يفضلونه على من في عصره، بل منهم من يدعي له الإعجاز غلوا، والملحدة تستظهر بشعره.[1]

فالذي حرك الباقلاني في هذه الموازنة" طبيعته كمتكلم مارس فن الجدل والحوار مدافعا عن نقاء النص القرآني ممّا يفيد أنّ هناك-في القرن الرابع-خصوما كانوا يتنازعون حول إعجاز هذا النص، وكانت وجهة نظرهم تقوم على نفي إعجازه، مستدلين على ذلك بإبداع أحد الشعراء، و لم يكن أحد أقرب إليهم من البحتري.."[2]

والباقلاني من خلال هذه الموازنة بين القرآن وأشكال التعبير عند العرب، يهدف إلى إثبات فكرة مفارقة القرآن لكلام البشر، ويرجع ذلك إلى نظمه المتعادل على طوله عكس الكلام الآدمي الذي يظهر فيه الاختلاف والتفاوت إن امتد.إذ يقول الباقلاني:"وفي ذلك معنى ثابت وهو أنّ عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوتولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج وحكم، وأحكام وأعذار، وإنذار، ووعد ووعيد وتبشير، وتخويف وأوصاف،وتعليم أخلاق كريمة...وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها. ونجد

1المصدر نفسه،ص156.

2أحمد يوسف علي،قراءة النص- دراسة في الموروث النقدي،ص59.

كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق، والخطيب المصقع، يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور."[1]

إذا فحجة آلية المقارنة كانت للإقناع بمفارقة نص القرآن أسلوبيا لجميع ألوان التعبير عند العرب، فاعتمد الباقلاني في " القول بالمفارقة على فكرة التفاوت بين الشعراء أو الخطباء أو الكتاب وعند كلّ واحد منهم على حدة- ليصل إلى نفي هذا التفاوت في القرآن وإثبات أنه من عند الله"[2] هكذا خدمت حجة المقارنة الفكرة التي دافع عنها الباقلاني بما أظهرته من اختلاف بين كلام الخالق المعجز بنظمه وكلام البشر.وهي مقارنة تنتهي بلا شك لصالح القرآن وهذا هو الهدف.

5- حجة التبادلية:

تتعلق هذه الحجج بوضعيتين متماثلتين وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل، التي تفضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخل مقولة واحدة.[3]وهيمن الحجج شبه المنطقية، "فحجة التبادلية تسعى إلى تمرير حكم معين من حالة إلى حالة أخرى"[4]

ومثال ذلك ما رفضه الباقلاني في القول بالصرفة في القرآن وذلك من قبل طائفة ادعت أنّ إعجاز القرآن ليس من ناحية النظم وإنّما هو من منطلق أنّ القرآن الكريم تحت طاقة البشر ومقدورهم، وهم عاجزون عن معارضته لأنّ الله سبحانه وتعالى صرف العرب ضربا من الصرف، ومنعهم من الإتيان بمثله ضربا من المنع[5].

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص31.

2 أحمد يوسف علي، قراءة النص- دراسة في الموروث النقدي،ص62.

3عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص169.

4 عبد الجليل العشراوي،الحجاج في الخطابة النبوية،عالم الكتب الحديث للنشر،الأردن، ط1،2010م، ص36.

5 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص25.

ومن الحجج التي وظفها الباقلاني لهدم هذه الفكرة القائلة بالصرفة قوله:" أنّه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف،لأنّهم لم يتحدوا إليه و لم يلزمهم حجته، فلمّا لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أنّ ما ادعاه بالصرفة ظاهره البطلان."[1]

فبهذا المنطق عمد الباقلاني إلى دحض القولة بالصرفة بأن يضع مكان العرب الذين تحداهم القرآن،أهل الجاهلية منهم الذين لم يقع التحدي معهم و لم يصرف الله قدرتهم أو عطلها، ورغم ذلك لم يكن لهم من الكلام ما هو في مستوى القرآن ونظمه العجيب. وهنا تنطبق قاعدة العدل والتبادلية بعملية قلب الوضعيات.

ومن هذا المنطلق جاءت الحجة التبادلية مثلما اعتمدها برلمان متمثلة في محاولة المواءمة بين الحجج العكسية" ويتمثل بيرلمان لهذا بمقولة تعتمد فكرة التناظر: ضع نفسك مكاني"[2].

فلو أنّ القول بالصرفة صحيح، لما عجز العرب البلغاء الفصحاء قبل نزول القرآنوتحديه لهم أن يقولوا كلاما يشبهه في البلاغة خاصة وأنّه نزل بلسانهم وكلامهم. ولكنّ إعجاز القرآن عند الباقلاني يكمن في نظمه الذي يفارق سائرنظوم وأوزان كلام العرب. لذا هو يبرهن على أنّ كلّ الأوجه الإعجازية تحيل على طبيعة نظمه وأسلوبه الفريد.

ومن ذلك أيضا قوله في نفي السجع من القرآن:" ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها، لم يقع بذلك

1المصدر نفسه،ص25.

2محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرةص129 .

إعجازا،ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز"[1] ومن خلال هذا نجد الباقلاني اعتمد آلية التبادلية فهو يعتبر السجع نوعا من أساليب كلام البشر، وبالتالي يكون في وضعية متماثلة مع الشعر كنوع من كلام البشر أي أنّ الباقلاني يفضي السجع والشعر إلى معاملة واحدة تنتهي بعزلهما عن القرآن المعجز الصادر عن ربوبية.فالسجع لو تحققت فيه تلك الصفة ونحن نعلم أنّه من الأجناس الأدبية التي تنتمي إلى دائرة واحدة هي كلام العرب، لتحققت صفة المعجز أيضا في الشعر وتمت معاملته بنفس الطريقة. ولكن هذا ما لم تصف به العرب الشعر أبدا. وهكذا تبقى صفة الإعجاز صفة للقرآن الكريم دون غيره من ألوان التعبير التي عرفتها العرب.

6- حجة التعدية:

تميز هذه الحجج العلاقات التي تسمح بالانتقال من إثبات أنّ العلاقة الموجودة بين"أ" و"ب" من جهة، و"ب" و"ج" من جهة أخرى، هي علاقة واحدة، إلى استنتاج أنّ العلاقة بين"أ" و"ج" هي العلاقة نفسها.."[2]

والتعدية في اصطلاح الفقهاء والأصوليين" هي إثبات حكم مثل حكم الأصل في الفرع، وقد يجيء في لفظ القياس"[3]

ومثال ذلك قول الباقلاني:"إذا علمنا أنّ أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله، فمن بعدهم أعجز،لأنّ فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول، مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم،وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص49.

2 Traité de l'argumentation –la nouvelle rhétorique p84-85.

3محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق، الدكتور علي دحروج،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1،1996م،ج1، ص476.

يساووهم، فأمّا أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا."[1] وهو يقصد أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الأعصار ممن جاء بعدهم في العجز عن الإتيان بمثل القرآن.

فحجة التعدية نمثل لها هنا بالعناصر التالية:

العنصر"أ": يمثل القرآن المعجز ببلاغته ونظمه، والذي تحدى العرب أن يأتوا بمثله.

العنصر"ب": ويمثل أهل عصر النبي(ص) الذين عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن بعد أن تحداهم، رغم بلاغتهم وفصاحتهم .

العنصر"ج": ويمثل أهل الأعصار الذين جاؤوا بعد أهل عصر النبي(ص)، وهم في بلاغتهم يقتربون أو يساوون أهل عصر النبي(ص).

فالتعديةهنا حصلت بواسطة علاقة تفوق إلى درجة الإعجاز بين العنصر"أ" المعجز والعنصر "ب" الذي عجز عن الإتيان بمثله، ثمّ العلاقة بين العنصر"ج" والعنصر"ب" التي تكون في أحسن الحالات علاقة تساوٍ. لتكون النتيجة علاقة التفوق إلى درجة الإعجاز أيضا بين العنصر"أ" والعنصر"ج". وهكذا تعدى الحكم الصادر على أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأعصار من بعدهم في العجز عن الإتيان بمثل القرآن بلاغة وبمشاكلته هكذا تعدى الحكم الصادر على أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأعصار من بعدهم في العجز عن الإتيان بمثل القرآن بلاغة وبمشاكلته إعجازا.

7- حجة الشاهد:

إنّ الشواهد والأمثلة تلعب دورا كبيرا في دحض حجج الخصم باعتبارها المادة التي يقدمها المجادل ليزيد من تصديق المخاطب لمقدماته وتبريره، لأنه يعي أثرها في دعم دعواه[2]

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص160.

2حافظ اسماعيل علوي وآخرون، الحجاج مفهومه ومجالاته، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2013، ص23.

والحجاج بواسطة الشاهد" معناه افتراض وجود انتظام أو اطراد لما يوفر الشاهد تجسيدا له، فهو يسعى إلى إثبات قاعدة" [1] ويكون الاستشهاد غالبا بالنصوص ذات القيمة المعترف بها لجلب الإقناع وإحداث التغيير المطلوب لدى المتلقي، ومهمة هذه الحجة توضيحية، لأنّ مدار العلم قائم على الشاهد والمثل.[2]

ومثال ذلك استشهاد الباقلاني من القرآن الكريم في أنّ الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم معجزة النبي صلى الله عليه وسلم، وبنى أمر نبوته عليه سور كثيرة[3] ويذكر لنا من الآيات قوله تعالى:"آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد"[4] وكذلك قوله تعالى:" وإنّه لتنزيل ربّ العالمين*نزل به الروح الأمين*على قلبك لتكون من المنذرين"[5]

وهذه الآيات للاحتجاج على الملحدين الطاعنين على النبوة والتوحيدوتتضح المقصديةالحجاجية من هذه الشاهد الديني من كونه يقرّ بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وصدق ماجاءبه.لقطع النزاع وإذعان الخصم.

ونجد من الاستشهاد بالقرآن في الاحتجاج على التوحيد قوله تعالى:" ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون"[6] وكذلك قوله تعالى:" الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون"[7] وقوله تعالى:" فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا"[8] فالباقلاني يستشهد بهذه الآيات لدعم أطروحته في وجوب الإيمان في

1الحسين بنو هاشم،نظرية الحجاج عند شاييم برلمان ،ص83.

2 الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،مكتبةخانجي، القاهرة،1986،ج1، ص271.

3 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص09.

4آية (1) سورة إبراهيم.

5 آية (192،194) سورة الشعراء.

6آية(69) سورةغافر

7آية(70) سورةغافر.

8آية(85) سورةغافر

أمر النبوة والتوحيد من خلال هذه الآيات التي توجب العلم وينقطع عندها العذر، بل وتحق العقوبة على الجاحدين.

وفي تميّز القرآن عن جميع وجوه كلام العرب، وفي تناسب بلاغته وفصاحته وتشابهه في البراعة على كثرته وطوله يستشهد الباقلاني بقوله تعالى:" الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله"[1] وكذلك قوله تعالى"ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"[2]

كما وظف الباقلاني بعض الشواهد الشعرية لدعم رأيه مثلما فعل فيما قدمّه انطلاقا من رؤيته النقدية في معرفة إعجاز القرآن التي اقتصرها فقط على الناقد الذي يعرف اللّسان العربي وطرقه ومذاهبه، وهنا تتحدد خصوصيته. ويستشهد في هذا ببيت من الشعر يقول صاحبه:[3]

للحرب والضرب أقوام لها خلقوا* وللدّواوين كتّابوحُسّاب**

فمغزى ذلك أنّ لكل صنعة أهلها، وإعجاز القرآن علم له رجال يميّزونه ويعرفونه.

8- حجة التكرار:

ظاهرة لغوية تتسم بها اللّغات عامة واللغة العربية خاصة، فالتكرار" سمة غالبة على خطاباتنا وحواراتنا اليومية، يشتمل جميع عناصر النص الصوتية والتركيبية والدلالية والتداولية"[4] ويعد التكرار عنصر حجاج فاعتماده من قبل المتكلم " يقتضي

1آية(23) سورة الزمر.

2 آية(82) سورةالنساء.

3الباقلاني : إعجاز القرآن،ص89.

4 أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة،بيروت،2010م،ص50.

مراعة تامة لمقتضيات المقام، وصنف المتلقين فهو يجوز في سياق ويستثقل في آخر وهو رافد للإقناع في مقام دون آخر وهو ملائم لمتلقٍ دون غيره"[1]

وبالرجوع إلى مدونة الباقلاني نجده لجأ إلى التكرار كثيرا، ولضيق المقام نذكر بعضا منه والذي ورد في مادة(ز،ع، م) مثل:

*فإن زعم زاعم أنّه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا..

* فمن ذلك أنّهم يزعمون أنّه بيت تام..

*ومما يزعمون[2]

*فيشبعون حركة الميم فيزعمون انّه من الرجز[3]

*وزعموا أنّ ذلك مما يبين به فضل الكلام..

*وزعم أنّ وقوع ذلك موقع الاستراحة..

* أو زعم أنّ ذلك وقع غير مقصود إليه..

* فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه... في القرآن[4]

* فيزعم أنّه سجع مداخل[5]

فنحن نقف على هذا التكرار لمادة(ز،ع،م) بصيغة الفعل عموما في حالتي المفرد والجمع، وهو تكرار تعمّده الباقلاني كآلية حجاجية خاصة ودلالة الفعل" زعم" تستعمل موضع اليقين الفاسد، وكما يذكر الزمخشري في الكلمة "زعم... إذا شككت أنّه حق أو باطل، وأكثر ما يستعمل في الباطل. وزعموا مطيّة الكذب"[6]

1سامية الدريدي،الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، الأردن،ط2،2007م،ص173

2الباقلاني : إعجاز القرآن،ص43.

3 المصدر نفسه،ص44.

4 المصدر نفسه،ص48-49.

5 المصدر نفسه،ص50.

6 الزمخشري، أساس البلاغة،ص271.

فالباقلاني في فصلي نفي الشعر ونفي السجع من القرآن كرر الفعل "زعم" وهو من أخوات ظنّ، وحاول به أن يُكذّب تلك الأقوال التي كانت مظِنّة حين جعلت القرآن من قبيل الشعر أو السجع. وكأنّه يقتلها في مهدها لاسيما والفعل زعم سبق الأقوال التي ذكرناها.وما يُبيّن المقصديةالحجاجية من التكرار أنّها ناسبت المقام، فكلامُه موجّه للملحدة الطاعنين في القرآن الكريم مثلما ذكر في كتابه، ومجيء كلمة"زعم" بصيغة اسم الفاعل أحيانا (زاعم) دلت على اهتمامه بالفاعل وهو المخاطب وبذلك كانت الكلمة تناسب مقام الذّم أيضا فالزعم" حكايةُ قول يكون مظِنّة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كلّ موضع ذُمّ القائلون به"[1]

9- حجة الاستفهام:

يعدّ الاستفهام" الوسيلة الأكثر استخداما في أية مواجهة إقناعية تجري بين طرفين، وأداة المطارحة الكفيلة بمساءلة اعتقادات الآخر واستجواب قناعته"[2]

والاستفهام هو طلب الفهم[3] ومعرفة شيء لم يكن معلوما وقت السؤال، إلاّ أنه قد يخرج عن هذه الحقيقة ليتوقف على مقصدية المستفهم من سؤاله،فيكون للإنكار أو التقرير أو التعجب أوالتحقير أو التوبيخ...إلى غير ذلك من المعاني البلاغية.

ونحن إذا تأملنا كتاب الباقلاني فسنجده في فصل "في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن" بالضبط في " باب أيّهما أبلغ ..الشعر أم النثر؟". قارن بين قصيدة من الشعر، وبين سور من القرآن الكريم. وكان الباقلاني قد تناول قصيدة امرئ القيس في

1الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت، ط4،2013م،ص238.

2عادل عبد اللطيف،بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف،لبنان، منشورات اختلاف، الجزائر،ط1، 2013،ص207.

3موفق الدين أبو البقاء ابن يعيش الموصلي،شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2001، ج5،ص99.

هذه الموازنة بالتمثيل الذي يهدف إلى البحث عن عيوبها واختلالاتها مقارنة بنظم القرآن البديع المعجز.

والملاحظ أنّ الباقلاني وظّف في هذا الباب عددا معتبرا من الجمل الاستفهامية التي عمد إليها من باب الحجاج. ومثال ذلك ما تعلق من أسئلة بما ظنّه من سقطات في قصيدة امرئ القيس كقوله:

*فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى، وتحمّل ومعوّل عند الرسوم؟[1]

*وأيّ فائدة لذكره لعشيقته؟ كيف كان يركب هذه القبائح، ويذهب هذه المذاهب،ويرد هذه الموارد؟

*وكيف ينكر عليها تدللها، والمتغزل يطرب على دلال الحبيب؟[2]

*كيف خلّط في النظم، وفرّط في التأليف؟[3]

*فكيف وقع على هذه الكلمة، ودُفع إلى هذه اللّفظة؟[4]

وهي أسئلة وظفها الباقلاني بغرض الإنكار، والتشهير بأخطاء امرئ القيس والباقلاني يخرج الاستفهام مخرج المنكر،فالمحاجج يقوم ضمن دائرة هذا الاستفهام الإنكاري بإبراز نقاط الضعف عند الخصم "لأنّك حين تنكر من شخص أمرا،فإمّا أن يكون هذا الأمر قد ادعاه لنفسه، وليس ذلك صحيحا، فأنت تكذبه فيما ادعى، وإما أن تنكر عليه قولا قاله،أو عملا عمله، و لم يكن ينبغي له ذلك"[5]. وهذه الأسئلة لا يقف بعدها الحجاجي عند الإنكار فحسب، بل يرتبط كذلك بالتشهير الذي من شأنه أن حجّم من شخص امرئ القيس ومن شعره وأحاطه بهالة من السلبية.

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص108.

2المصدر نفسه،ص111.

3المصدر نفسه،ص115.

4المصدر نفسه،ص114.

5حسن فضل عباس،البلاغة فنونها وأفنانها،دارالفرقان،الأردن، ط4،1997م،ص164.

كما نجد من الاستفهام البلاغي ما خرج إلى السخرية مما يظهر من فساد في معاني شعر امرئ القيس على رأي الباقلاني، كقوله :

*فكيف يكون بكاؤه هو الذي يخلص قلبه لها؟[1]

وهذه أسئلة جميعا يظهر بعدها الحجاجي في الاستخفاف والاستهزاء، فامرؤ القيس رغم جودة شعره وبراعته وفصاحته التي لا يشك فيها الناس.نجد أنّ الباقلاني يحرص أن يعطي شعره حجمَه وقدرَه. أمام نظم القرآن المميز بجنسه وأسلوبه وذلك ما يعكسه الاستفهام التقريري، بما يحتويه من معانيضمنية على الاعتراف بعظم شأو القرآن وبديع نظمه، وهي أسئلة أوردها الباقلاني حين تناول بعض السور القرآنية بالتحليل أثناء تلك الموازنة التي قام بها، ومثال ذلك:

*أ ليست كلّ كلمة منها في نفسها غرّة، وبمنفردها درّة؟[2]

وفي هذا نذكر الاستفهام التقريري عند ابن وهب" يكون سؤالا عمّا تعلمه ليقر لك به"[3]

ونجد من الاستفهام في هذا المقام ما طلب منه التصديق، فالباقلاني يهمُّه أن يكون مصدقا في رأيه، فهو يريد إثبات الحقيقة لخصومه بردّ وإزالة شكوكهم في القرآن، وصورة ذلك من الأسئلة قوله:

*هل تجد كلّ لفظة وهل تعلم كلّ كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع، وتتضمن شرط القول البديع؟

ونرجع إلى الاستفهام الإنكاري والذي يعتبر من أقوى صيغ السؤال حجاجا ومنه:

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص112.

2المصدر نفسه،ص123.

3ابن وهب،البرهان في وجوه البيان، تقديم حنفي محمد شرف وتحقيقه،مكتبة الشباب، القاهرة،1969م،ص94.

*فكيف لا تفوت حدّ المعهود، ولا تجوز شأو المألوف؟ وكيف لا تجوز قصب السبق، ولا تتعالى عن كلام الخلق؟[1]

فالباقلاني لا ينتظر جوابا وإنّما ينبّه خصمه بشأو بلاغة ونظم القرآن وبديع تأليفه الذي يخرج عن جميع أساليب نظم البشر.وهنا تتجلى الوظيفة البلاغية للإنكار، كما يقول الجرجاني"أنّه لينبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي الجواب...فإذا رجع فيه تنبّه وعرف الخطأ"[2]. كما نجد الإنكار في قوله:

*من يقدر على تأليفهذه الكلمات الثلاث على قربها، وعلى خفتها في النظم وموقعها من القلب؟[3]

والباقلاني من هذا السؤال ينكر إمكانية قدرة أحد من البشر أن يبلغ نظم وتأليف آيات من القرآن، بل يجعله مستبعدا ومستحيلا.

هكذا وظّف الباقلاني الاستفهام الذي خرج عن حقيقته، ليؤدي أغراضا أخرى تعكس طاقة حجاجية كبيرة.

10- حجة التشبيه:

التشبيه من المباحث التي عني بها البلاغيون كثيرا، بالنظر إلى وظيفتها الإقناعية، فالطرف الثاني في التشبيه يكون حجة على طرفه الأول وهذا حجاج على صحة المقدمة، فهو" عقد مقارنة بين شيئين، وبيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أوملحوظة"[4] بمعنى مقدّرة.

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص123.

2 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،قراءة وتعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر،ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي،مطبعة المدني،1989م،ص329،330.

3 الباقلاني: إعجاز القرآن،ص131.

4 علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة-البيان والمعاني والبديع،دار المعارف، القاهرة، بيروت،1979م،ص 20 .

ومن التشبيه الذي أورده الباقلاني قوله:

"إنّ من كان من أهل اللّسان العربي، إلاّ أنّه ليس يبلغ في الفصاحة الحدّ الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام، ووجوه تصرف اللغة...فهو كالأعجمي، في أنّه لايمكنه أن يعرف إعجاز القرآن"[1] فالباقلاني بعد أن بيّن أنّه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية، من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن.[2]

جاء الدور على أهل اللّسان العربي ممن لم يستو عوده بعدُ في الفصاحة والبلاغة، فوضّح منزلته عن طريق تشبيهه بالأعجميّ، إذ ذكر جميع عناصر التشبيه:

المشبه: من كان من أهل اللّسان العربي،ولكنّه لا يبلغ في الفصاحة ما يمكّنُه من معرفة إعجاز القرآن.

المشبه: من كان من أهل اللّسان العربي، لكنّه لا يبلغ من الفصاحة ما يعرف به إعجاز القرآن.

المشبه به:الأعجمي.

أداة التشبيه:حرف الكاف.

وجه الشبه: عدم إمكانية معرفة إعجاز القرآن.

فحجاجية هذا التشبيه تكمن في توضيحه لصورة المشبه الذي جعله الباقلاني هو ومن ليس من أهل اللسان العربي سواء. وهذه حجة ليدخل من كان من أهل اللسان ولا يملك من الفصاحة ما يؤهله لمعرفة إعجاز القرآن في دائرة من يجب عليهم التقليد والتسليم لأحكام من تناهى في معرفة اللسان العربي وطرقه ومذاهبه والذي لا يخفى عليه إعجاز القرآن. وهذا الأخير شبهه الباقلاني في قدرته على تمييز أجناس التعبير الأدبي، وبين الرديء والجيد والبديع، فقال:

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص82.

2المصدر نفسه،ص82.

"وهذا كما يميّز أهل كل صناعة صنعتهم، فيعرف الصيرفيّ من النقد ما يخفى غيره، ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته ورداءته ما يخفى على غيره"[1] فالباقلاني حين يشبه العارف بإعجاز القرآن بالصيرفيّ والبزاز، إنّما يؤكد أنّ معرفة إعجاز القرآن صناعة وعلم لابدّ له من رجال يتقنونه. وفي ذلك حجة أيضا على قيمة هذه الصنعة التي عدّ الباقلاني الناقص فيها كالخارج عنها.

ومن التشبيه ماجاء في الكلمة من القرآن يُتمثّل بها في تضاعيف الكلام فتكون" كالدّرة التي ترى في سلك من الخرز، وكالياقوتة في واسطة العقد"[2] وفي قول الباقلاني:" فأنت ترى الكلمة من القرآن يُتمثل بها فيتضاعيف كلام كثيروهي غرّة جميعه، وواسطة عقده"[3] وكذلك التشبيه في قوله" هذه الكلمات الثلاث كلّ واحدة منها كالنجم في علوه ونوره، وكالياقوت يتلألأ بين شذوره "[4] وفي نفس المضمون نجد قوله مشبها:

" أليست كلّ كلمة منها في نفسها غرّة، وبمنفردها درّة؟ "[5]

فالكلمة عند الباقلاني"تبلغ حد المصطلح يطلقه على الآية الواحدة باعتبارها وحدة بناء السورة، لا باعتبارها علامة أو معجزة"[6] وهذه الكلمات هي المشبه الذي قدّم له الباقلاني مجموعة من المشبهات به بما يتناسب ويخدم أطروحته التي يريد ترسيخها في الأذهان، فهو يشبه كلمات القرآن بالدرّة أي ما يمثل اللّؤلؤ العظيم مقارنة بالخرز الذي يمثل تلك الفصوص بين حبات العقد، ويشبهها بالياقوتة ذلك

1 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص82.

2المصدر نفسه،ص35.

3 المصدر نفسه،ص35.

4المصدر نفسه،ص126.

5المصدر نفسه،ص123.

6أحمد يوسف علي، قراءة النص- دراسات في الموروث النقدي، ص63.

الحجر الكريم الذي يتوسط العقد لأفضليته على الشذور، كما يشبهها بالغرّة من باب شهرتها وأمّا تشبيه كلمات القرآن بالنّجم في الطلوع، فلأنّه يَهديك ضياؤها وسناؤها إلى عجيب فصاحتها وبارع معناها.

فهذا تشبيه يؤكد به الباقلاني علو شأن القرآن وتميزه عن جميع كلام البشر إلى درجة أنّ كلماته إذا تمّ تضمينها في كلام آخر، بأن "استعملها شاعر أو غيره مضمّنا بها شعره أو نثره تظلّ كما هي في سياق القرآن معلنة عن نفسها."[1]

ومن هنا دعمت وقوّت حجة التشبيهبما أثارته في النفوس من استمالة لاسيما والباقلاني قد أحسن اختيار المشبه به في الدلالة على عظم القرآن وعلو بلاغته وامتيازه وتفوقه على كلّ ما عرفه العرب من ألوان التعبير.

11- حجة النفي:

يؤدي النفي دورا فعالا في النصوص الحجاجية، وذلك باعتباره يؤدي إلى إبطال آراء الخصم ودحضها،

ويعد النفي آلية إقناعية في الخطاب الطبيعي، تُفتّت الرأي المضاد وتدحضه أو تشكّك فيه بهدف قلب اعتقاد الخصم أو إبطاله من خلال الجحد المتمثل في إنكار أطروحته والتعويض الذي يتعدى الجحد إلى تقديم الأطروحة البديلة.[2]

ومثاله قول الباقلاني:" ثمّ رجع الكلام بنا إلى ماقدمناه، من أنّه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه، وذلك أنّ هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلّم والتدرب به والتصنع له."[3] ويواصل استعمال آلية النفي وذلك بقوله عن البديع أنّه"

1أحمد يوسف علي، قراءة النص- دراسات في الموروث النقدي، ص64.

2المتوكل أحمد، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التراكيب في اللغة العربية،مطابع منشورات عكاظ،الرباط،1993، ص102.

3الباقلاني : إعجاز القرآن،ص80.

طريق لا يتعذر ،وباب لا يتمنّع.."[1] ثمّ يقول:"فأمّا شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى ولا إمام يقتدى به، ولا يصح وقوع مثله اتفاقا"[2] وهنا ينبغي أن نشير إلى أن المراد بالبديع عند الباقلاني هو جميع الفنون البلاغية بعامة، وليس العلم الثالث من علومها.

وحجاجية النفي في الأمثلة ترجع إلى كونه جاء وسيلة للدفاع عن الرأي الذي تبناه الباقلاني والذي يقضي بعدم جدوى البديع في اكتشاف إعجاز القرآن مستعملا في ذلك " لا النافية للجنس" في العبارة (لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع)، فبهذا النفي يبعد كلّ ما من شأنه أن يمسّ رأيه، ثمّ يبرر السبب في ذلك بنفي آخر بالفعل "ليس" بعبارة (وذلك أنّ هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة) فالباقلاني من خلال هذا النفي يعمد إلى إرباك الخصم ويجعله يشكك في رأيه بأن وجه إعجاز القرآن هو البديع المعروف عند العرب والذي لا يتمنع ولا يتعذرعن مقدورهم فيصيب البناء الحجاجي عند الخصم بالاضطراب، وتضعف دعواه. وهنا نلمس في مثل هذه الآلية الطابع الارتجاعي، إذ تصدر كرد فعل على ادعاء الخصم.[3]

ولا يتوقف البعد الحجاجي لهذه الآلية عند إبطال اعتقاد الخصم بالنفي والإنكار فقط، بل يتعداه إلى إعطاء التعويض (تعويض النفي) لإصلاح الرأي الفاسد، وقد كان البديل الذي تبناه الباقلاني لكشف إعجاز القرآن هو ما يسمى " النظم" الذي نفى عنه أن يكون له مثال يحتذى إليه، ولا يصح الإتيان بمثله.

ومن النفي أيضا ما وظفه الباقلاني في قوله عن نظم القرآن:" أنّه ليس من قبيل الشعر، ولا السجع، ولا الكلام الموزون غير المقفى."[4] فهذا النفي دعَمَ النَّفَس

1المصدر نفسه،ص80.

2المصدر نفسه،ص80.

3طه عبد الرحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، ص43.

4 الباقلاني : إعجاز القرآن،ص41.

الحجاجي للباقلاني، خاصة وغرضه الإقرار بأنّ نظم القرآن خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلام العرب وأساليب خطابهم.

وهكذا يصل الباقلاني مرارا وتكرارا من خلال آلياته الحجاجية بأنّ القرآن كلام الله المعجز يخرج عن عرف كلام البشر، ويخرق عاداتهم، ويتجاوز قدرتهم ووجه الإعجازفيه هو عجيب نظمه وتأليفه.

خـــاتـمـــة

بعد هذا البحث المتواضع، رأينـــا أنّ الحجـــاج يرتكـــز في مُجمَلِـــه علـــى توجيـــه الحجج لهدف الإقناع والاستمالة والتأثير، وذلك ما يبتغيه كلّ متكلم محاجج.

كما رأينا أنّ الحجاج يمكـــن أن يوظّـــف في كـــلّ المجـــالات، فعزمنـــا مـــن هـــذا الأساس إنجاز بحث نطبّق فيه مقاربة حجاجية على مدونة مـــن تراثنـــا العـــربي الإســـلامي، فاخترنا كتابا لواحد من كبار العلماء المسلمين المتقدمين، وهو كتـــاب "**إعجـــاز القـــرآن**" للإمام أبي بكر الباقلاني.

وقد أتاحت لنا هذه الدراسة الحجاجية في هذا البحـــث، الوقـــوف علـــى مجموعـــة من النتائج أهمّها:

1. الدراسات والنظريـــات الحجاجيـــة الحديثـــة، مـــاهي إلاّ امتـــداد للدراســـات البلاغية القديمة، وذلك ما يتضح أكثر في البلاغة الجديـــدة مـــع بيرلمـــان وزميلتـــه تيتكـــاه، بعد إحيائهما للبلاغة الأرسطية.

2. هناك تقاطع معرفي بين النظريات الحجاجية المعاصـــرة، وبـــين التـــراث العـــربي الإسلامي. وكثيرا ما ارتبط الحجاج عندهم بالبيان والبلاغة والجدل.

3. عُرف المسلمون في بداية أمرهم بممارسة الحجاج وفـــن الجـــدل، حـــتى صـــار ميزة في الفكر الإسلامي.

4. ساهمت القضايا الخلافية المرتبط بالجانـــب العقـــدي في تحويـــل الجـــدل عنـــد المسلمين خاصة علماء الكلام، إلى جدل فلسفي فكري مفعـــم بالأدلـــة والحجـــج. ومـــن ذلك قضية إعجاز القرآن.

5. إشكالية إعجاز القرآن لها أسّ ديني مـــن الناحيـــة الاعتقاديـــة، ولهـــا بعـــد أدبي بياني مرتبط باستكناه مقومات الإعجاز البلاغية.

6. ساهم العالم الأشـــعري أبي بكـــر البـــاقلاني كـــثيرا في الـــدرس الإعجـــازي، ووقف به البحث إلى أنّ إعجاز القرآن ليس في القول بالصرفة كمـــا تـــدعي المعتزلـــة، ولا

يمكن اكتشافه من البديع والبلاغة كما قال بعض علماء البيان، وإنّمـــا إعجـــازه في نظمـــه العجيب، الذي لا يتفاوت، بعكس كلام البشر الذي هو مشوش النظم مضطرب.

7. كتاب"إعجاز القرآن" أبرز مرجـــع في التـــراث تنـــاول الإعجـــاز في مرحلـــة متقدمة، وهو كتاب ذو طابع حجاجيّ لا سيما وصـــاحبه ألّفـــه للـــدفاع عـــن العقيـــدة الإسلامية ممثلة في القرآن الكريم.

8. مرتكزات الحجاج عند الباقلاني في كتابـــه، جمعـــت بـــين العقـــل والعاطفـــة، فعكست آليات الحجاج المنطقية كالقياس، والتجزئـــة، والتعريـــف، والمقارنـــة، والتبادليـــة، والتعدية، مرتكزات عقليـــة، في حـــين عكســـت بعـــض الآليـــات الأخـــرى كالتشـــبيه مرتكزات عاطفية.

9. الحجاج في كتاب إعجاز القرآن مارسه البـــاقلاني مـــن زاويـــة جدليـــة، فهـــو حجاج جدلي في أغلبه يعتمد على مرتكزات عقلية خالصـــة، خاطـــب فيهـــا البـــاقلاني في المتلقي عقله، لا سيما والجدال يظهر من خلال بنية الحوار مثل (فإن قلتم....قلنا).

10. آلية المقايسة والمقارنة، ومن أبرز الآليات الحجاجية الغالبة في كتاب الباقلاني.

11. الحجاج عند الباقلاني، نابع من بيئـــة إســـلامية، بمنـــهجها القـــرآني الفريـــد المبني على فكرة التوحيد.

12. مراعاة الكاتب كثيرا لقضية التوحيد، هـــي الـــتي ســـاقته إلى تلـــك الموازنـــة بين الشعر والقرآن بل هو يضع القرآن بجملته أمام تـــراث العـــرب شـــعرا ونثـــرا، وكأنّـــه يفترض أحد الطرفين أصلا ويفترض الآخر هـــو الفـــرع، إلاّ أنّـــه لا يقـــارب، ولا يـــداني الأصل، لا في القليل ولا في الكثير.

وأسفرت هذه المقارنة الحادّة عن نفيّ أيّ صلة بين النص الإلهـــي، وهـــذا التـــراث. فالنص القرآني دال بما فيه من نظم معجز على الله.

هكذا قدّم الإمام البـــاقلاني حججـــه ضـــدّ مـــا يعتقـــده الملحـــدة والمشـــككون والجهّال، فكان حجاجا جدليا هدف من خلاله إلى إسقاط تلـــك الطعـــون وإزالـــة تلـــك الشبهات والشكوك في معجزة القرآن ووجه إعجازه.

وكما هو معروف، فكلّ بحث يبقى مفتوحا دائما، مـــا دامـــت الأجوبـــة تـــذهب، والأسئلة تبقى، ومن الأسئلة ما يتعلق بالحجـــاج ويمكـــن طرحـــه كإشـــكالية للبحـــث في إعجاز القرآن عند الباقلاني، وهو كالآتي:

– إلى أيّ مدى خدم القياس والمقارنة كآليتين حجـــاجيتين، مـــا طرحـــه البـــاقلاني في كتابه "إعجاز القرآن"؟ وهل ساهمت تلك المقارنة بين الشعر والقـــرآن في بنـــاء عمليـــة الحجاج عنده أم في تقويضها؟

وختاما نحمد الله أن وفقنا في هـــذا البحـــث، الـــذي لا نـــدعي فيـــه أنّنـــا ألممنـــا بالموضوع من جميع جوانبه، وإنّمـــا حاولنـــا فقـــط الكشـــف عـــن الحجـــاج في مدونـــة الباقلاني. من باب مقاربة حجاجية حاولنا أثناءها جاهدين أن نلمس بعضـــا منـــها محاولـــة للاقتراب من جوهر موضوعنا، لنترك ما لم نتطرق إليـــه، لأبحـــاث أشمـــل تكـــون قـــادرة على الإحاطة بجوانب أكثر فيما يتعلق بموضوع هذا البحث.

والحمد لله وليّ التوفيق.

المصادر والمراجع

➢ **القرآن الكريم.**

1. ابن خلكعان: وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 4.
2. ابن فارس: مقاييس اللّغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، د ط ،ج1،1979م.
3. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط1،2000م،مج4.
4. ابن وهب،البرهان في وجوه البيان، تقديم حنفي محمد شرف وتحقيقه،مكتبة الشباب، القاهرة،1969م.
5. أبو إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة،عابدين، مصر،د-ط، د-ت.
6. أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق:صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2016م.
7. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الدار البيضاء،المغرب،ط1،2006م.
8. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة،بيروت،2010م.
9. أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة،دارالأرقمبنأبي الأرقم، د ط،د ت.
10. أبي بكر الباقلاني: التمهيد، دار الفكر العربي، 1974م.
11. أحمد يوسف علي: قراءة النّص- دراسة في الموروث النقدي، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، ط2، 2008م.
12. أرسطاليس:كتاب الخطابة، ترجمة:إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1953م.
13. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، مطبعة عويدات، بيروت،ط2،2001م.
14. اتريك شار ودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الود،دار الكتاب الجديد، ط 1، 2009م.
15. برقان محمد: مكانة البلاغة في الإقناع الخطابي، فصيلة محكمة، طاكسيج كوم للدراسات والنشر، العدد1،2008م.

16.بغدادي بلقاسم: المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
17.ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني- في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3،1976م.
18.لجاحظ: البيان والتبيين، المجلد الأول، الجزء الأول والثاني، وضع حواشيه، موفق شهابالدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.
19.الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،مكتبة خانجي، القاهرة، 1986م.
20.جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 2004م.
21.الجدل في القرآن، محمد التومي،(د-ط)، شركة الشهاب، الجزائر،(د- ت).
22.جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني،1982م،ج1.
23.جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب،مصر،د ط، 2000م.
24.حافظ اسماعيل علوي وآخرون، الحجاج مفهومه ومجالاته، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2013.
25.حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج حدود وتعاريف، عالم الكتب الحديث،ج1،ط1، إربد، الأردن، 2010م.
26.حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، يوليو، سبتمبر،2001م.
27.حسن فضل عباس،البلاغة فنونها وأفنانها،دار الفرقان،الأردن، ط1997،4م.
28.الحسين بنو هاشم،نظرية الحجاج عند شاييمبيرلمان،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط1،2014م.
29.حمادي صمود: الحجاج عند أرسطو: ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس،1998م.

30.خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي(مقاربة لآليات بلاغة الإقناع)، أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه في الآداب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، السنة الجامعية 2003-2004، (مرقونة).

31.الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت، ط4.

32.الزبيدي: تاج العروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،2003 .

33.سامية الدريدي،الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، الأردن،ط2 ،2007م.

34.السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1.

35.سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.

36.صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص،دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق،ط1،2008م.

37.طـــه عبد الرحمان: في أصول الحوار والتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000م.

38.طـــه عبد الرحمن: اللّسان والميزان أوالتكوثرالعقلي، المركـــز الثقافي العربي، ط1، الرباط،1998م.

39.عادل عبد اللطيف،بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف،لبنان، منشورات اختلاف، الجزائر،ط1، 2013.

40.عباس حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته،مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،العدد09،،2013م.

41.عبد الجليل العشراوي،الحجاج في الخطابة النبوية،عالم الكتب الحديث للنشر،الأردن، ط1،2010م.

42.عبد العالي قادة: بلاغة الإقناع- دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م.

43.عبد العالي قادة:بلاغة الإقناع،ص158، عن Ch.Perleman et O.Titika :Traité et l'argumentation –la nouvelle rhétorique .Edition de l'université de Bruxelle .5eme edition .2000p:5.

44.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،قراءة وتعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر،ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي،مطبعة المدني،1989م.

45.عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م.

46.عبدالله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

47.عز الدين الناجح: العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال دراسة تداولية لسورة الإخلاص، مجلة المجمع الجزائري في اللغة العربية، العدد السادس، السنة الثالثة،ذو الحجة1428هـ،ديسمبر2007م.

48.علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة-البيان والمعاني والبديع،دار المعارف، القاهرة، بيروت،1979م.

49.عمار ساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، إربد، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2007م.

50.الغزالي معيار العلم في المنطق، دط، دت.

51.فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د.أحمد حجازي سقا، دار الجيل، بيروت،ط1، 1992م.

52.المتوكل أحمد، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التراكيب في اللغة العربية،مطابع منشورات عكاظ،الرباط،1993م.

53.محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العمة للكتاب، مصر العدد60، خريف 2002.

54.محمد العمري: البلاغة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،ط1، 2005م.

55.محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، الرباط، 2005م.
56.محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط1،2008م.
57.محمد سالم ولد محمد أمين:مفهوم الحجاج عند "برلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة،عالم الفكر، الكويت،العدد2، يناير، مارس،2000م.
58.محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللّسانية، دار الثقافة،المغرب،ط1، 2005م.
59.محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق، الدكتور علي دحروج،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1،1996م،ج1.
60.محمد مشبال: البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، ط1،2014م.
61.مسلم بن الحجاج النيسبوري: صحيح مسلم، مط محمد علي صبيح،القاهرة،د ت، 197/8.
62.مهابة محفوظ ميارة: مفهوم الحجاج، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق،2006م.
63.موفق الدين أبو البقاء ابن يعيش الموصلي،شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،2001،ص50.
64.هاجر مدقّن: الخطاب الحجاجي أنواعـــه وخصائصه، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1،2013م.
65.هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة،تونس.

المصادر والمراجع باللغة الاجنبية:

1.Cambridge advanced learners dictionary, Cambridge University Press,2nd pub,2004.
2.L’argumentation Dans le Discours Ruth Amossy-France –Edition Nathan-2000.
3.Le grand Robert, dictionnaire de la langue Française ,1er redaco n, paris,1989.
4.Traité de l’argumentation –la nouvelle rhétorique.
5.www.alukah.net.جميل حمداوي: نظريات الحجاج، شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة ..... أ

مهاد نظري 2

الفصل الأول:
الحجاج مفهومه وماهيته

مفهوم الحجاج 11

أ): الحجاج لغة 11

ب): الحجاج اصطلاحا 14

ماهية الحجاج في الفكر الغربي والعربي قديما وحديثا 17

1-الحجاج في الفكر الغربي قديما 17

أ): الحجاج عند السفسطائيين 17

ب): الحجاج عند أفلاطون 18

ج): الحجاج عند أرسطو 19

2- الحجاج في الفكر العربي قديما 21

أ): الحجاج عند الجاحظ 21

ب): الحجاج عند ابن وهب 22

ج): الحجاج عند السكاكي 23

3- الحجاج في الفكر الغربي حديثا 24

أ): الحجاج عند برلمانC.PerlmanوتيتكاهO.Tyteca 25

ب): الحجاج عندانسكومبرJ-C.Anscombre وديكروO.Ducrot 27

4-الحجاج في الفكر العربي حديثا 28

أ): الحجاج عند طه عبد الرحمان 28

ب): الحجاج عند محمد العمري 30

الفصل الثاني

مرتكزات الحجاج في كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني

تعريف بالإمام الباقلاني..... 33
وصف مدونة "إعجاز القرآن" لأبي بكر الباقلاني 34
مرتكزات الحجاج وآلياته عند الباقلاني 37
1- حجة القياس..... 37
2- حجة التجزئة 39
3- حجة التعريف 40
4- حجة المقارنة..... 41
5- حجة التبادلية 44
6- حجة التعدية..... 46
7-حجة الشاهد 47
8- حجة التكرار 49
9- حجة الاستفهام..... 51
10- حجة التشبيه..... 54
11- حجة النفي 57
خاتمة..... 61
المصادر والمراجع 65